الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

قسم الفلسفة

الموضوع:

المشروع الحضاري الكوني

رؤية نقدية –روجي غارودي- نموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالب:

بلخضر وحيد

إشراف الأستاذ:

بوزبرة عبد السلام

السنة الجامعية: 2016/2015

إهداء :

إلى والدى الكريمين أُهدِيهما ثمرةَ غرسهما عرفانًا منى بفضلهما الجميل على فجزاهما اللّه عنى خير الجزاء.

إلى أُختَى وأُخى عبد الكريم وأُخى صابر وزوجتَه وابنهما صهيب، لهم منى بالغ العرفان وخالص المحبةِ وصادقَ الدعاء.

إلى كل أُقربائى..

إلى كل الزملاء والأُصدقاء..

إليكم جميعًا أُهدى ثمرةَ هذا العمل، حتَى وإن لم أُسمهم فهم فى نفسى أُعمقَ من الذكر وأُعمقَ من مجرد الاسم.

وحيد

كلمة شكر :

بعد إتمام هذا البحث لا يسعنى إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان مقرونًا بالتقدير والاحترام للأستاذ بوزبرة عبد السلام لتفضله بالإشراف على هذه الرسالة، ولما أسداه من نصائح وتوجيهات كان لها الفضل بعد توفيق من اللّه فيى تصويب الأخطاء والاعوجاج الذى اعترى هذا البحث، كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساهم وقدم يد العون والمساعدة، وأخص بالذكر هنا الأخت فرحات نبيلة والأخ عثامنة حمزة والأخ سيلم ياسين، وجميع طلبة السنة الثانية ماستر فلسفة، كما وأخص بالشكر كذلك الأساتذة الأفاضل أساتذة قسم الفلسفة بجامعة المسيلة، واللّه أسأل أن يوفقنا جميعًا لخدمة العلم والدين، إنه سميع مجيب.

مقدمة

مقدمة:

إن المتأمل في هذا العالم يجد نفسه أمام عدة تغيرات يشهدها هذا العصر، مست مختلف المفاهيم العلمية والفلسفية والتقنية، وتجسدت آثارها على واقعنا الاجتماعي، والاقتصادي والثقافي، هذه التغيرات عمقت الوعي بوحدة العالم، وإنشاء دولة عالمية تشمل جميع شعوب الأرض، كون الإنسانية اليوم تجمعها مشاكل مشتركة، وقضايا تجاوزت حدود الإقليم الواحد، كمشاكل الجريمة والعنف والبطالة وعدم المساواة والقلق والإدمان على المخدرات والكحول والانحلال الخلقي وغيرها من الآفات التي جعلت حياة الإنسان بلا معنى، ولفهم وحدة العالم وتفسيره، وإعادة تنظيمه ينبغي الاهتمام بالحضارات باعتبارها الوعاء الذي يحتضن هذه القضايا والمشاكل، خاصة بعد طغيان القيم المادية، وسيطرة الآلة وإهمال البحث في الغايات، وغياب الحوار بين الثقافات والحضارات، بسبب الرؤية الكونية للنموذج الحضاري الغربي القائمة على تمركزها حول ذاتها، وكلها مؤشرات على أزمة الحضارة المعاصرة، إذن فما يميز الحضارة الكونية اليوم هو طبيعتها القائمة على الاستقطاب أو ما نسميه بالهيمنة في ظل المركزية الغربية التي قامت على أسس لا إنسانية لم تؤد إلى تنمية الإنسان، بقدر ما أدت إلى إفلاسه وإفقاره روحيا وأخلاقيا، ما يؤكد خطورة هذه الأزمة التي تعاني منها الحضارة الإنسانية اليوم، وهذا ما أدى إلى ظهور بعض الفلسفات التي تنذر بأفول هذه الحضارة، وانتحارها، وبالتالي ضرورة فحصها ونقدها ومحاولة إيجاد حلول لمشكلات هذه الحضارة، ومن أبرز هذه الفلسفات، فلسفة روجي غارودي، الذي وقف على حقيقة هذه الأزمة التي انعكست سلبا على الإنسان المعاصر.

ومن هنا فإن البحث في فلسفة روجي غارودي الحضارية تكتسي أهمية كبيرة باعتباره يبحث في سبيل تغيير الحاضرة الغربية من خلال نقده وتقويمه لمسارها منذ بداية تكوينها إلى غاية واقعها الراهن، ودعوته إلى ضرورة النظر في الأسس والمعايير التي قامت عليها بغية إنقاذ الإنسان من الخطر الذي بات يهدده، وعليه فإن مشروعه الفلسفي هو مشروع حضاري أخلاقي إنساني وهنا تكمن خصوصية فلسفة روجي غارودي وبالتالي فإن غرضنا الأساسي من خلال هذه الدراسة هو توضيح فلسفة روجي غارودي الحضارية انطلاقا من الإشكالية التالية:

ما هي منطلقات غارودي الأساسية في نقده لحضارة الغرب ومركزيته؟

وما هو المشروع الحضاري البديل الذي يقترحه لإنقاذ الحضارة المعاصرة؟

وللإجابة على هذه الإشكالية ارتأينا إلى تقسيم بحثنا وفق خطة منهجية تخدم إشكالية البحث، فجاءت على النحو التالي:

مقدمة: عرفنا فيها بالموضوع وإشكاليته التي يبحث فيها.

الفصل الأول: المعنون بـ(الكونية في سياق المشروع الحضاري الغربي) تناولت من خلال ثلاثة مباحث، تعرضت في المبحث الأول إلى مفهوم الكونية وجذورها التاريخية، أما المبحث الثاني فقط تطرقت إلى الرؤية المركزية للنموذج الحضاري الغربي موضحا في ذلك مفهومها، وكذلك التأصيل التاريخي للنزعة المركزية، وفي المبحث الثالث قدمت بعض النماذج التي تعكس النزعة المركزية للنموذج الحضاري الغربي، منها الدراسات الاستشراقية، والعولمة، بالإضافة إلى أطروحتي نهاية التاريخ وصدام الحضارات.

والفصل الثاني: الذي يحمل عنوان (موقف روجي غارودي النقدي من المركزية الغربية) فقد ضمنته مباحث ثلاثة هو الآخر تناولت في المبحث الأول منه نبذة عن حياة غارودي ومساره الفكري، ونقده للدراسات الاستشراقية من خلال توضيح الجوانب الخفية للاستشراق، أما المبحث الثاني فقد خصصته لرؤية غارودي لظاهرة العولمة وموقفه النقدي منها في حين كان الحديث في المبحث الثالث مخصصا لنقد غارودي لكل من أطروحة نهاية التاريخ عند فوكوياما، وأطروحة صدام الحضارات لصمويل هنتنغتون.

وفي الفصل الأخير الذي حمل عنوان (المشروع الحضاري البديل عند روجي غارودي).

فقد كان بمثابة الحل النهائي الذي يمكن أن يعيد بناء الإنسان والحضارة، ويتجاوز جملة الأزمات التي تسبب فيها النموذج الحضاري الغربي، حيث تناولت في المبحث الأول مشروع حوار الحضارات في فلسفة غارودي، مبرزا أهدافه ودوره في تأسيس حضارة عالمية بديلة، أما المبحث الثاني فقد كان مخصصا للحديث عن فكرة الأنسنة في جانبيها الاقتصادي والسياسي في مشروع غارودي الحضاري، والمبحث الثالث فقد تضمن الإيمان والتعليم كأساس لإعادة بناء الحضارة.

الخاتمة: وقد شملت على حوصلة لأهم نتائج البحث.

وقد فرضت علينا طبيعة الدراسة اتباع المنهج التحليلي النقدي الذي وظفناه في تحليل النصوص والأفكار الأساسية واستعنا كذلك بالمنهج التاريخي، لكون بعض المواضيع لا تفهم إلا في سياقها التاريخي.

ومن هنا فإن البحث في مشروع غارودي يكتسي أهمية كبيرة كونه يسعى للخروج من دائرة الصراع الذي عاشته وتعيشه الإنسانية، رافضا بذلك النظرة الأحادية للغرب المرتبطة بالعديد من المفاهيم كالعولمة مثلا، ولهذا فإن الموضوع له علاقة كبيرة بوقعنا وبحياتنا الثقافية والاجتماعية والحضارية باعتبارنا جزء من هذه الحضارة تزداد أهمية البحث في هذا الموضوع عندما يتعلق الأمر بفكر غارودي المتميز بثراء معارفه التي استقاها من تجاربه، وسعة اطلاعه على ثقافات الشعوب وحضاراتها ومعتقداتها وتقاليدها المختلفة.

أما عن الدوافع التي كانت وراء اختياري لهذا البحث، فيمكن تقسيمها إلى دوافع ذاتية وأخرى موضوعية، فمن الناحية الذاتية أرى أن غارودي هو الشخصية التي قدمت رؤية منصفة للحضارة العالمية بصفة عامة، والحضارة الإسلامية بصفة خاصة، خاصة بعد اعتناقه للإسلام.

وأما من الناحية الموضوعية، فإن دوافعنا لهذا الموضوع تتمثل في ضرورة التعايش والتفاعل والتحاور بين الثقافات والحضارات التي دعا إليها غارودي بهدف تقدم الإنسانية وتطورها بعد الأزمة التي آلت إليها الحضارة المعاصرة، وما كان لذالك من انعكاسات خطيرة على حياة الإنسان.

أما عن المراجع والمصادر التي اعتمدناها في هذا البحث فقد تم توظيف أغلب مؤلفات غارودي المترجمة، منها "حوار الحضارات"، و "وعود الإسلام"،و "كيف نصنع المستقبل؟" بالإضافة إلى بعض الدراسات التي تخدم الموضوع.

ولقد واجهتنا بعض الصعوبات أبرزها: قلة الدراسات حوله والتي و إن وجدت فإنها تفتقر في الغالب إلى عمق التحليل، بالإضافة إلى انعدام بعض المصادر التي لم نتمكن من تحصيلها، ولكن وبفضل من الله عزوجل وبتوجيه من الأستاذ المشرف، قد تمكنا من تجاوز هذه الصعوبات.

الفصل الأول

الكونيةُ فى سياقَ المشروع الحضارى الغربى

تمهيد:

شهد العالم تغيرات كثيرة بعد نهاية الحرب الباردة وسقوط المعسكر الشرقي وتحول الثنائية القطبية إلى أحادية تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية حيث خضع النظام العالمي لعملية تسريع كبرى تمثلت أساس في ثورة الاتصالات المعلوماتية التي عمقت الوعي بوحدة العالم، هذا الوضع جعل العالم يعيش بعض التناقضات ما بين التنوع التفافي والحضاري وبين المشاكل الكثيرة التي تطرح في كل المجتمعات، كل هذه المعطيات تتطلب إعادة النظر في المفاهيم الجديدة التي أفرزها النظام العالمي الجديد كمفهوم الكونية، الذي ظل استعماله محط نزاع وموطن نقاش بين المفكرين سواء من حيث مقصدها أو مضمونها أو من حيث مخاطبيها، والذي أكتسب مدلولا يحمل مرونة اكبر مع المشروع الحضاري الغربي.

فما المقصود بالكونية ؟، وما هو المعنى الجديد الذي تبلور مع النموذج الحضاري الغربي؟ وفيما يتجلى ذلك؟.

المبحث الأول: مفهوم الكونية وجذورها التاريخية.

أولا: مفهوم الكونية:

قبل الحديث عن معنى الكونية أو التفصيل في مضمونها لابد من التطرق إلى بعض المصطلحات التي ترتبط بهذا المفهوم على غرار ما يلي:

1. كون Cosmos

وهذا اللفظ مشتق من اللفظ اليوناني KOSMOS وهو يعني في الأصل النظام Ordre ثم أطلقه الفيثاغوريون على العالم

2. كسمولوجيا (الكونية) Cosmologie

وتعني مبحث القوانين العامة التي تتحكم في الكون وتكوينه[1]

3. علم الكون: Cosmologie

وهو العلم الذي يبحث في القوانين العامة للعالم من جهة أصله وتكوينه، سواء كان ذلك من الجهة التجريبية، أم من الجهة الفلسفية، وعلم الكون العقلي Cosmologie Rationnelle عند كانط هو البحث في المسائل المتعلقة بأصل العالم وطبيعته، من جهة ما هو حقيقة وجودية متعينة خارج الذهن، ودراسة هذه المسائل تثير ما يسميه كانط بالنقائض (Anitnomies)[2]

أما مفهوم الكونية من الناحية الحضارية فقد أخذ معاني اختلفت باختلاف الحضارات، ولعل فيلسوف الحضارة أرنولد توينبي هو من ضبط مفهوم عام للكونية باعتبارها كل حضارة تنجح وتستمر، فيتوسع مداها ليشمل حضارات أخرى، تذيبها في كيانها وتتحول معها إلى حضارة عامة.

---

[1]. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص 513.

[2]. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت،ج2؛ 1982، ص147.

وبالتالي فإن المقصود بالكونية هنا حسب أرنولد توينبي وجود حضارة واحدة مهيمنة على باقي الحضارات تطبعها وفق طابعها الخاص[1]، وعليه فالكون أو العالم يمكن تنميطه وفق نمط واحد، هو نمط الحضارة المتفوقة والقادرة على الانتشار.

كما يرى توينبي أن كل دولة عالمية تتحول إلى حضارة كونية، لأن الكيان السياسي لدولة واسعة لا بد أن يتفكك وتبقى الحضارة التي تنشأ داخل حدودها وتتجاوز تلك الحدود، وهذا هو ما حدث لكل الدولة العالمية من دولة المصريين القدماء إلى دولة الغرب المسيحي اليوم، فالغرب المسيحي حسبه قد قطع دور الدولة المسيحية ودخل في دور الحضارة الكونية[2].

أما المفكر الإيراني علي شريعاتي (1933 . 1977) فلم يختلف هو الآخر على توينبي فالحضارة الكونية حسبه هي الأمة التي وصلت إلى درجة من التقدم الكلي وصارت معها قادرة على أن تطبع العالم وفق طابعها فتغدو حضارتها قابلة للانتشار[3].

ثانيا : الجذور التاريخية لفكرة الكونية.

إن فكرة الكونية في الحقيقة هي فكرة قديمة تعود إلى الحضارات القديمة، لذا كان الاختلاف حول مدلولها باختلاف الأزمنة وبتعاقب الحضارات.

والنماذج التي تثبت صحة ذلك كثيرة سنذكر الأهم من بينها على سبيل الذكر:

1.الكونية عند الرواقية:

يعتقد الرواقيون أن روح الإنسان لا تختلف في جوهرها عن عقل الكون، وأن الآلهة والناس ليسو في الحقيقة إلا جزء من هذا العقل الكوني، فالكون هو المدينة الكبرى والمدينة العالمية التي يعيش فيها كل من البشر والآلهة ويرتبط فيها كل واحد بالآخر.

[1] . حسين مؤنس: الحضارة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص 215.

[2] . المرجع نفسه ص 215.

[3] .عمار جيدل: حوار الحضارات ومؤهلاته في التأسيس للتواصل الانساني، دار الحامد، عمان، الاردن، 2013، ص29.

وهذه الدولة الكونية لها دستور هو العقل المنزه عن الخطأ أنه العقل الكلي أو اللوغوس الذي يعتبر كل فرد عضوا أو فرعا منه[1]، يهدي الناس إلى ما يجب أن يفعلوه وما يجب أن يتجنبوه، وهو مقياس لكل ما هو حق وعدل، لا تتغير مبادئه وهو قانون الإله وقد عبر عنه كريسيبوس في فاتحة كتابه من القانون بما يلي" **إن القانون هو الحاكم المسيطر على أعمال الآلهة والناس جميعا، ويجب أن يكون هو الموجة والحاكم والمرشد لما هو شريف، وهو الفيصل فيما هو حق، وما هو باطل، وهو الذي يهدي كل الكائنات الاجتماعية بطبيعتها إلى ما يجب عمله ويمنعها عما لا يصلح عمله**"[2]

بمعنى أن جميع الأفراد يجمعهم قانون واحد لأن أجسامهم واحدة ولها أب واحد هو الآلهة لذا فالجميع ينتمي إلى وطن واحد هو المدينة الكونية، ويدين بقانون واحد هو قانون هذه المدينة.

2.الكونية في الفكر المسيحي:

لقد قامت المسيحية على فكرة وحدة النوع الإنساني التي جعلت من المسيحية ديانة كونية شاملة، فالجماعات المسيحية تشعر بترابطها وتوحدها الروحي ضمن الكنيسة الكونية.

حيت نلمس في العصور الوسطى تأثيرات متبادلة بين النزاعات الكليانية أو شمولية الداعية إلى التنسيق مع الأديان الأخرى، حيث ترى أنه يتوجب على المسيحية أن تستوعب الثقافات والأديان الأخرى وتضمها تحث جناحيها وهذا ما يثبته القول التالي (**ان تطور الإنسانية يجب أن يضفي حتما إلى ملكوت المسيح وهو تطور يجب أن يستوعب في داخله العالم كله**) [3]

وبالتالي فإن رؤية المسيحية لا تتعارض مع الثقافات والحضارات الإنسانية الأخرى وهذا ما نجده عند كبار المفكرين المسيحيين بدءا من أوغسطين الذي عبر عن ذلك من خلال تقسيمه العالم إلى قسمين مدينة الله ومدينة الأرض (مدينة الشيطان)، والكنيسة تعيش على الأرض تؤلف بين المواطنين من جميع

[1] . بلحنافي جوهر: الاخلاق والسياسة بين الرواقية والفكر الاسلامي، رسالة دكتورة غير منشورة، جامعة وهران، 2005، ص 104.

[2] . نقلا عن جورج سباين: تطور الفكر السياسي ؛ ترجمة حسن جلال العروسي، ج2، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ص 33.

[3] . أليسكي جورافسكي: الاسلام والمسيحية،ترجمة خلف محمد الجراد ؛عالم المعرفة، الكويت، 1996،ص18.

الأمم رغم اختلاف لغاتهم وألوانهم وشرائعهم من أجل تحقيق السلام الدائم على الأرض لتتحقق بذلك وحدة الناس[1].

غير أن ماتصبو اليه هذه الدعوات المسيحية قد فشلت في تحقيق مبتغاها، وذلك لعدة اعتبارات أهمها الرغبة في حب التملك وحب السيطرة والهيمنة على الأخر.

3.الكونية في الإسلام :

إن فكرة الكونية عند المسلمين تنحو منحى عالمي على اعتبار أن الإسلام جاء لكافة العالمين ولم يأخذ بالاختلافات البشرية والعرقية أو الدينية بل أقر بمبدأ المساواة والأخوة، فالناس جميعا ينحدرون من أصل واحد بل لا فضل فيها لجنس دون جنس، فقد أرسى كذلك حق الكرامة الإنسانية حيث يقول عز وجل" **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرا ممن خلقنا تفضيلا**"[2] فالإسلام دعا إلى احترام الإنسان وأوجب حسن المعاملة مع جميع البشر والتعامل مع الآخر بالحسن سواء كان هذا الأخر مشركا أو مؤمنا فللإنسان حرية الاعتقاد ولابد من احترام حرية اختياره لقوله تعالى " **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**"[3]وبهذا فهو يفرض أن يكون التسامح هو أساس التعامل مع من يتفق معنا في العقيدة أو يخالفنا فيها، وبالتالي فإن القيم الإنسانية هي التي تساهم في انتشار هذا الدين وخاصة التسامح مما يجعل من الإسلام قيمة كونية عالمية في ذاتها مرنة في تطبيقها لأنها استجابة للفطرة السوية فقيم العدل والتعاون والمساواة وغيرها قيم عالميه في ذاتها تواضع الناس واصطلحوا عليها جميعا واستحسنها العقل البشري في مختلف ألأزمنة[4] وعلى هذا فان الحضارة الإسلاميه بما تحمله من قيم تبقى حضارة كونية، لأن هذه القيم والمبادئ تتوافق مع الفطرة الإنسانية كمبدأ

[1] . جان جاك شوفالي: تاريخ الفكر السياسي من المدينة إلى الدولة القومية ؛ ترجمة : حمد عرب صاصيلا ؛ مؤسسة الجماعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص 35.

[2] . سورة الإسراء: الآية 70.

[3] . سورة الكهف: الآية 26.

[4] . عبد القادر تومي: الفكر العالمي والفكر العولمي، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 39.

التعارف مثلا، بدليل أن الخطاب القرآني يؤكد هذه الحقيقة ويربطها بمسألة الخلق وبهذا فهو يسقط العديد من المبادئ التي تأسست عليها بعض الحضارات التي ترى أن الناس ليسو من مرتبة واحدة، وعليه فالعقيدة الاسلامية لا تضع خطوطا فاصلة بين بني الإنسان رغم الاختلاف لأنهم يشتركون في مبدأ الإنسانية وهذا ما أكسبها بعدا كونيا عالميا.

4.الكونية في العصر الحديث:

يعد الفيلسوف الألماني إيمنويل كانط من أكثر الفلاسفة عناية بمسألة الكونية في العصر الحديث، من خلال فكرته (مشروع السلام الدائم) والذي دعا من خلالها إلى رؤية كونية يكون آخر حدودها الإنسانية، عن طريق إنشاء حلف بين الشعوب[1] والأمم المختلفة يتمثل في تكوين(هيئة أمم) قائمة على الحق يكون لها الإشراف على هذا المجتمع القانوني الخالص الذي هو الأمة المتمدنة، لأن الأمة بمفهومها السابق مهما خرجت من مجال البداوة مسترشدة بإحكام الحق والشرع فإن حرية مواطنيها لن تكون مع ذلك بمأمن من كل خطر فليس العالم أمة واحدة بل هو مجموعة من الأمم، ومن العسير أن نتصور حكومة واحدة يكون في استطاعتها أن تحكم العالم بأسره، لأن الأمم المختلفة مازلت على البداوة في علاقاتها ببعضها البعض ومازالت تضع في هذه العلاقات سبيل الإكراه والتغريب ومعاهدات السلام التي تعقدها إلا هدنة موقوتة، ولكي يستوثق المرء من قدرته على تحقيق غايتها ينبغي إنشاء هيئة حقيقية ذات أبعاد كونية [2] عن طريقها سيحقق المرء غايته بما يتم القضاء على كل احتمال لوقوع الحرب، وبالتالي تجنب شرورها وويلاتها ومن خلال هذا المشروع الكوني ستتسع رقعة العدالة ويصبح حكمها الحكم المطاع وفيها حتما سيأوي السلام إلى ركن شديد، وبهذه الرؤية الكونية الجديدة عند كانط ستحافظ الأمم على تنوعها وتعددها الثقافي والحفاظ على هوية الدولة وعدم انصهارها أو ذوبانها وتحقيق هذا السلام وفق حلف شامل للإنسانية جمعاء حسب كانط يبقى أمرا ممكنا حتى و إن كان يصعب تحقيقه في المستقبل القريب فهو كالهدف الذي يجب أن ترمي إليه جهود الدول المسالمة جميعا [3] حيث يقول

[1] . إيمنويل كانط : مشروع السلام الدائم، ترجمة:عثمان أمين،مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1952، ص 01.

[2] المرجع نفسه، ص 12.

[3] المرجع نفسه، ص 16.

كانط "**يبدو أن الطبيعة نفسها تقدم لنا بعض الضمانات الايجابية فقد جعلت الأصقاع الجرداء مناطق سكن، وجعلت الشعوب التي تستطيع أن تعيش مجتمعة تكتفي بنفسها على رتبة واحدة...وجعلت الأمم على المبادلات التجارية التي تخرجها من عزلتها الأولى، وتجعلها تتقارب تقاربا سلبيا في البحث عن المصالح المشتركة** "[1]

المبحث الثاني: الرؤية المركزية للنموذج الحضاري الغربي.

إن مفهوم الكونية لم يثبت على حال بل كان متغيرا بتغير الثقافات والحضارات، لكون الإنسان يسلك ويتصرف بحسب ما تكون نظرته للعالم، لذلك فإن كل حضارة من حضارات العالم ترتكز على رؤية كونية معينة، وهذا ما يثبته النموذج الحضاري الغربي من خلال رؤيته للكونية القائمة على فكرة التمركز حول الذات، أو ما يعرف بالمركزية الغربية، فيا ترى ما المقصود بالمركزية الغربية؟ وما هي الأصول التي قامت عليها؟.

أولا: مفهوم المركزية الغربية:

قبل الحديث عن المركزية الغربية كمفهوم لا بد من الإشارة الى بعض المصطلحات التي لها علاقة بالمركزية الغربية منها:

1. مركزية الإنسان:

هو لفظ مشتق من مقطعين باللغة اليونانية وهما Antlropos إي الإنسان + Kentron ويعني مركز، واللفظ في جملته يعني أن الإنسان هو مركز الكون وأن خير البشرية هي العلة الغائبة لجميع الموجودات.

وقد صاغها بروتاغوراس السوفسطائي في عبارته المشهورة"**الإنسان مقياس الأشياء جميعا**"[2]

[1] إيمنويل كانط : مشروع السلام الدائم، ص 17.

[2] . مراد وهبة: المعجم الفلسفي؛ ص 589.

2. مركزية الذات . مركزية الأنا Egocentrisme

تعني تقدير الأمور من وجهة نظر الذات وحدها وهو اتجاه قريب من الانطواء، حيث يرى بياجيه أن الطفل يبدأ حياته النفسية وهو في حالة انطواء ذاتي تام Autisme، ثم يمر بمرحلة مركزية الذات قبل أن يتمكن من تصور الآخرين في موقف شركاء تقوم بينه وبينهم علاقات من التبادل[1]

3. الغرب:

من الناحية الجغرافية ينطبق الغرب على أوربا، أما من الناحية السياسية فهو يدل على كتلة غير متجانسة تمتد عبر قارات عدة (أمريكا وآسيا وأوربا) ويشمل بصفة خاصة أمريكا بالإضافة إلى غرب أوروبا[2] في حين هناك من يربط الغرب بالمحور الذي يشمل دول الإتحاد الأوربي واليابان، والولايات المتحدة الأمريكية، أي الدول الرأسمالية الكبرى، وبهذا تصبح كلمة غربيا مرادفة لكلمة رأسماليا.

مفهوم المركزية الغربية:

هي إيديولوجية غربية تقوم هي التمركز حول الذات الغربية، فتجعل منها مركز للعالم في حين يمثل العالم اللاآغربي الأهداف أو الهوامش[3]، وعلى هذا النحو فإن النزعة المركزية هي نزعة لصيقة بالنموذج الحضاري الغربي وهي مرادفة لمفهوم الواحدية الحضارية، والتي ترى أن الحضارة الغربية هي وحدها العالمية والكونية والإنسانية بل هي وحدها الحضارة التي يجب أن تكون النموذج الوحيد للتحضر والتقدم وهي الرؤية التي جاءت على لسان الكثير من المنصفين الغربيين على غرار المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون والذي قال"**إن تشجيع التمركز حول الذات هي من طبيعة الأوربيين، كانت موجودة دائما**

[1] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ص 590.

[2]. ريوسكيه، ورفاتييه: الانسان في المجتمع المعاصر، ترجمة: مصطفى كامل فودة، دار المعرفة، القاهرة، 1969، ص 47.

[3] . عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية، إشكالية التكوين والتمركز حول الذات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2003، ص 15.

لكنها إتخذت الآن صبغة تتسم بالازدراء الواضح للأخريين... وخصوصا في ظل الامبريالية منذ منصف القرن التاسع عشر"[1]

فالمرحلة الحالية للحضارة الغربية تمثل طور الاجتياح الذي يطمح في صب العالم داخل القالب الغربي على مختلف الأصعدة والميادين الاقتصادية، والسياسية والقيمية والثقافية والعسكرية والتشريعية...الخ إنها مرحلة الطوفان الغربي الذي يعني الدمج المخطط والقسري في قالب واحد ونفي التعدد والتنوع والتمايز والاختلاف.

وبالتالي جعل العالم كله يصب في اتجاه واحد هو اتجاه النزعة المركزية الغربية على نحو غير مسبوق ودرجة لم يسبق لها مثيل بفعل المستجدات الجديدة في بنية الحضارة الغربية وبفعل مستجدات عالم التقنيات وسلطات المعلومات[2]

إذن فالكونية من المنظور الغربي تتجلى في الرؤية المركزية القائمة على التمركز حول ذاتها وحول عالمها الخاص مثلما ينصب اهتمام الطفل الصغير نحوه ضمن عالمه الصغير الضيق، في حين تمارس السيطرة الكاملة على غيرها من الشعوب اللاغربية وتعاملها بنوع من الاستعلاء وعدم الاكتراث به لأنه هامش أو محور يكاد يكون مقصى من بؤرة اهتمامه، وهو بهذا ينظر إلى التاريخ البشري وفق منظاره الخاص ووفق ما تقتضيه مصالحه الخاصة.

ثانيا: التأصيل لفكرة المركزية الغربية:

1. **التأصيل الفكري:**

تعتبر الحضارة اليونانية هي المرجعية الفكرية للحضارة الغربية الحديثة، فهذه الأخيرة وليدة العقل اليوناني بلا شك، لأن العقل البشري نشأ في اليونان، فاليونان هم أول من زرعوا البذور الأولى لكل من العلم والفلسفة وبالتالي فالحضارة اليونانية هي أغنى حضارة عرفها التاريخ البشري، وهذا ما يثبته

[1] . محمد عمارة: بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية،مكتبة الإمام البخاري للنشر، القاهرة، ط1، 2009ص 18.

[2] . المرجع نفسه، ص 25.

ويل ديورانت بقوله :"**سنطيل النظر مسرورين مغتبطين إلى العقل البشري وهو يتحرر من الخرافات والأوهام فينشأ علوم جديدة، وينزل بالطب إلى حكم العقل وينزل بالتاريخ من فوارق الطبيعة ومن الأجرام السماوية إلى العالم الأرضي، ويبلغ الغاية التي لم يصل إليها عقل شعب آخر من قبل الشعر، والتمثيل والفلسفة والخطابة والتاريخ والفن وسنراها حتى في اضمحلالها تنجب أفلاطون وأرسطو طاليس** "[1]

فالحضارة اليونانية هي أصل الرقي والازدهار، لأن الفكر اليوناني يتميز عن غيره بالطابع العقلي وبعده عن الطابع الخرافي ما ساهم في توسيع دائرة إبداعه.

وهذا ما يؤكده برتراند راسل (1871، 1970) أحد المتعصبين للحضارة اليونانية حيث بنى موقفه من تاريخ الفلسفة اليونانية من الفكرة التي قال بها أرسطو والذي جعل الفكر محصور في العرق اليوناني أما باقي الشعوب فهي تفتقد للعقلية العلمية والعبقرية التي ينفرد بها اليونان، وفي هذا يقول "**الفلسفة والعلم كما نعرفهما، اختراعان يونانيان والواقع أن ظهور الحضارة اليونانية التي أنتجت هذا النشاط العقلي العارم، أنما هو أحد أروع أحداث التاريخ، وهو حدث لم يظهر له نظير قبله ولا بعده** "[2]

وبالتالي فإن الغرب يرى في الحضارة اليونانية معجزة العقل البشري، لكن هذه الرؤية الغربية للعقل البشري ما هي في الحقيقة إلا نقطة بداية انفصال الغرب على العالم مع فلسفة الذات التي شكلت انفصال الإنسان عن الطبيعة، وجعلت منه مركزا لكل شيء، بل إن الكثير من فلاسفة اليونان أخذوا من حضارات الشرق على غرار الفارسيين والمصريين والهنود والصينيين، ففي الإسكندرية مثلا كان تلاقح الحضارات، وفيها ولدت رياضيات إقليدس وتعلم بطليموس الفلك.

[1] ويل ديورانت: قصة الحضارة ص 13 .

[2] . برتراند راسل: حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكرياء، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ج1، 1983، ص 65.

2. التأصيل الديني:

تؤكد المركزية الغربية من الناحية الدينية تأصيلها في كل من التراث اليهودي والمسيحي حيث يصعب قراءة الحضارة الغربية أو تصورها بمعزل عن تلك القراءة المتأصلة بالتورات والإنجيل.

أ. اليهودية : وهي ديانة سماوية تقوم على الثورات وما يتصل بها من كتب ألفها اليهود منذ فترات مبكرة في تاريخهم كالتلمود وغيره، حيث يعرف اليهود بثلاث أسماء هي : العبرانيون : وتشير إلى الفترة منذ بداية التاريخ حتى غزو كنعان، وكذا الاسرائليون : وتشير إلى الفترة التي تمتد من الغزو حيث نهاية النصوص المقدسة، واليهود: وتشير إلى الفترة التي تلت ذلك حتى العهد الحاضر[1].

ويلعب المكون اليهودي دورا مهما في تشكيل الحضارة الغربية حيث كانت الديانة اليهودية، كما تذكر بعض المصادر قد وجدت طريقها إلى الإمبراطورية الرومانية بدخول ما يقارب المائة ألف يهودي، وإنشاء معابد لليهود كانت الأرستقراطية الرومانية تلتقي فيها وتتبنى العديد من الطقوس الدينية اليهودية.

وبهذا فإن اليهود قد أسهموا بشكل لا يستهان به في بناء الحضارة الغربية، من خلال التأثير الواضح في رسم السياسات الغربية[2].

ب. المسيحية : أما المسيحية فهي كذلك ديانة سماوية، يقر بعض المفكرين الغربيين أنها امتداد لليهودية فهي تتكئ على التوراة ككتاب سابق يروى قصة الخليفة وقصص أنبياء بني إسرائيل الذين يعد مجيئهم في التفاسير المسيحية الرئيسية مقدمة تنبأ بالمسيح والمسيحية[3]

إذ يرى برتراندراسل أن المسيحية منبثقة من عقيدة اليهود، فهي تشترك مع اليهود في الرأي القائل بأن الله يصطفي أناس معينين، إذا كان نوع الناس المختارين يختلف بالطبع في الحالتين[4]

---

[1] . سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي الغربي، المغرب، 2007، ص 39.

[2] . المرجع نفسه، ص 41.

[3] . المرجع نفسه، ص 39.

[4] . برتراند راسل: حكمة الغرب، ص 189.

ومصدر عقيدة المسيح هو الإنجيل الذي يعد الدستور الديني للمسيحيين والأناجيل أربعة هي: متى، مرقص لوقا، يوحنا، ثم أعتمد بعدها المسيحيون أسفار يطلق عليها اسم العهد الجديد كما عرفت المسيحية عدة مذاهب تشكل الكنيسة منها الكاثوليكية، البروتستانتية، والأرثوذكسية وغيرها.

حيث تدعو المسيحية إلى المحبة والتسامح والمساواة بين الأفراد وكذا تحقيق السلام، وبهذا فإن المسيحية قد تغلغلت في المجتمع الغربي على الرغم من اختلاف المذاهب وعملت على خلق وحدة دينية، وبذلك فقد استطاعت إحداث تغيير جذري في المجتمع الغربي بمساهمتها في بناء حضارته، ويرى الفيلسوف الألماني فريدريش هيجل(1770، 1831) أن المسيحية هي الدين الكامل والمطلق، فهي تمثل حسبه المركب بين الأديان السابقة إذا تجمع بين أديان الشرق والأديان الأخرى[1]

وفي هذا تجلي واضح لفكرة المنطق الجدلي عند هيجل التي تفسر حسبه حركة العالم، حيث تبدأ بمرحلة الإثبات التي يقر فيها العقل وجود موضوع ما، ثم مرحلة النفي التي يتضح فيها للعقل وجود وجهة نظر مضادة فيتجه إلى النقيض لتكون مرحلة التركيب هي المرحلة النهائية التي تعمل على تأليف مركب جديد بين الموضوع وضده وانطلاقا من هذا فان المسيحية هي التي تألف بين الأديان الأخرى حسبه.

لكن هذه الرؤية الغربية التي تدعي أن الحضارة الغربية هي وريثه اليهودية والمسيحية في المجال الديني، فإنها تبقى هي الأخرى محل شك على اعتبار أن التوراة التي تتضمن جوهر عقيدة اليهود، قد كتبت على أرض الكنعانيين، على أرض فلسطين وحتى المسيحية هي الأخرى ولدت في أرض فلسطين، و بالتالي فقد أتت من آسيا ولم تأتي من أوربا.

ج . التأصيل العرقي:

بما أن الغرب يعتبر وريث التراث اليوناني واليهودي والمسيحي فقد ورث معه التميز العرقي حيث نظر الإغريق القدامى إلى وحده الجنس على أنها من أهم العوامل التي تميزهم عن غيرهم من الأجناس، حيث يرى أرسطو أنه من الطبيعي أن يكون الأجانب الذين لا يمثلون الشعوب اليونانيه

[1] . فريدريتش هيجل: محاضرات فلسفة التاريخ ؛ ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1974ص 229.

عبيدا لهم ماداموا أسياد لذلك فان أرسطو يقول "**اليونانيون أعلى بطبيعتهم من البرابرة**"[1] كما نجد كذلك فكره التميز العرقي حتى في الدين اليهودي والمسيحي لاشراكهما في فكرة شعب الله المختار وهذا ما أثبته راسل في قوله "**المسيحية تشترك مع اليهودية في الرأي القائل ان الله اصطفى أناس معينين**"[2] وفي هذا تأكيد على التميز العرقي في الديانتين رغم اختلافهما حول هذا الشعب المختار. ثم إن المسيحية في أحد عناصرها ألا وهو الرمزية المسيحية عن البياض والسواد ماهي إلا تأكيد آخر على هذا التميز العرقي اتجاه السود، حيث يعتقد المسيحيون أن الخطيئة هي اسوداد الروح البيضاء، ونضروا إلى الله و الفضيلة و الطهارة والتوبة من خلال النور أو البياض المشرق، وعلى النقيض من هذا كان الشيطان ينشح بالسواد فكان أمير الظلام.

وبالتالي فإن فكرة التمييز العرقي للغرب هي فكرة مستمدة من التراث اليوناني واليهودي والمسيحي، غرضها التأسيس للمركزية الغربية القائمة على التفوق والتميز على الآخر المتخلف الغير متحضر، وهذه الرؤية الغربية تعد مظهرا من مظاهر الانحراف في الفكر البشري، حيث تم اختراع أسطورة الشعب المختار بهدف تكريس الهيمنة والسيطرة على الآخر والتقليل من قيمته عرقيا.

[1] نقلا عن برتراند راسل : حكمة الغرب، ص189 .

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

المبحث الثالث: تجليات المركزية الغربية

أولا: الدراسات الإستشراقية:

1. مفهوم الإستشراق:

أ. المفهوم اللغوي:

الإستشراق لغة مشتقة من كلمة وهي جهة شروق الشمس وشرق أي أخذ في ناحية الشرق، والسين في كلمة الإستشراق تفيد الطلب أي طلب دراسة ما في الشرق[1]

ب . المفهوم الإصطلاحي:

هو علم قائم على دراسة أثار الحضارة الشرقية المادية والروحية بما يشمل علم الإقتصاد والتاريخ والجغرافيا والسياسة والأداب والفنون والفلسفة والدين وغيرها [2]

وعليه فإن العلاقة وثيقة بين التعريفين اللغوي والإصطلاحي فقد أطلق على الدراسات التي تعني بالعالم الشرقي مصطلح الإستشراق وأطلق على الغربيين الذين يقومون بتلك الدراسات بالمستشرقين وهم جماعة من المؤرخين والكتاب والأجانب الذين خصصوا جزءا من حياتهم في دراسة وتتبع المواضيع التراثية والتاريخية والدينية والاجتماعية للشرق[3]

إذن فالتعريج على الإستشراق يعني من بين ما يعنيه تحليل صورة الاخر الإسلام والعرب وسائر الشعوب الأخرى غير الأوربية في أوربا أو الغرب وتفكيك الرؤية التي كونها الغرب لنفسه وللأخر أو الآخرين

[1].فاروق عمر فوزي: الإستشراق والتاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1998، ص 29.

[2]. زينات بيطار: الاستشراق في الفن الروماني، المجلس الوطني للثقافة والفنون،الكويت، ط1، 1992، ص 8.

[3]– فاروق عمر فوزي: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ص 30

على الأصح، انه خلق جديد للآخر أو إعادة إنتاج له، فالإستشراق خطاب أو إنشاء لكنه لا يعكس حقائق أوقائع بل يصور تمثلات أو ألوانا من التمثيل حيث تتخفى القوة والمؤسسة والمصلحة[1]

وعليه فإن الحقل النظري الإستشراقي الغربي يقوم على إيديولوجيا التفوق العرقي السوسيوثقافي لأوروبا، حيث نسجت هذه الإيديولوجيات وعيا زائفا عن الشرق، عبر مجموعات من النخب الثقافية الشرقية ذاتها التي تتلمذت على أيدي مستشرقين، فضلا عن مجموعة من النخب الإستشراقية المعينة وبالتالي فإن الكلمة الفصل في ذلك الاستشراق هي أوربة العالم بمعنى أن أوروبا هي القادرة على صياغة وعيها الأوربي، بقدر ما هي قادرة على صياغة وعي العالم الآخر الشرقي وفق ما يقتضيه وعيها الخاص وعي الهيمنة والشمولية[2]

2. نشأة الإستشراق:

لا يوجد إتفاق بين الباحثين على فترة معينة لبداية الدراسات الاستشراقية، فمنهم من جعل من الحروب الصليبية بداية الاستشراق، حيث بدأ الإحتكاك السياسي والديني بين الإسلام والنصرانية، ومنهم من يرى أن البدايات الأولى للإستشراق تزامنت مع الحروب الدموية التي نشبت بين المسلمين والنصارى في الأندلس بعد إستيلاء ألفونسو السادس على طليطلة عام 1056، 448هـ فيما ذهب آخرون إلا أن البدايات الأولى للإستشراق تعود إلى القرن الثاني عشر للميلاد، حيث كانت أول ترجمة للقرآن إلى اللغة اللاتينية وذلك سنة 1143م، 538 هـ كما عدّ آخرون حاجة الغرب للرد على الإسلام ولمعرفة أسباب القوة الدافعة لأبنائه خاصة بعد سقوط القسطنطينية عام 1453 حيث وقف الإسلام سدا مانعا لانتشار النصرانية بداية للإستشراق[3]

[1]- سالم يافوت: حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1989، ص 7، 8

[2]- طيب تزيني: فن الاستشراق الغريب الاستغراب الغربي، دار المجد لطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1996، ص 308.

[3].فاروق عمر فوزيا : الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ص 30.

ثم إن دافع تفهم العقلية السامية كان سببا لدراسة اللغة العربية وآدابها وفهم عادات وتقاليد وأديان الشعوب التي أرادو إستعمارها[1]

ولذلك يؤرخ الغرب المسيحي لبدأ الاستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام 1312م بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في اللغة العربية والعبرية والسريانية في جامعات باريس وأكسفورد و بولونيا وسلامانكا، وهكذا استمرت جهود المستشرقين تنصب لدراسة الإسلام وترجمة القرآن الكريم وكذلك الكتب الأدبية والعلمية حتى القرن الثامن عشر وما بعده، حيث تم للغرب استعمار العالم الإسلامي و استولى على كثير من ممتلكاته التراثية واستحوذوا على المخطوطات ونقلوها إلى مكتبات الغرب، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1873م ثم توالت مؤتمرات المستشرقين بالانعقاد[2]

ولهذا فإن الحكومات الأوروبية قد استغلت فئة المستشرقين واستعانت بخبراتهم وثقافاتهم عن البلدان التي يدرسونها من أجل توطيد سيطرتها على المنطقة، وبسط مركزيتها على العالم، وهذا ما جعل بعض الباحثين يصفون حركة الإستشراق في بعض جوانبها على الأقل بأنها منظومة إيديولوجية تقوم على التفوق العرقي وتهدف إلى تثبيت النفوذ والهيمنة.

ثانيا: العولمة.

1. مفهوم العولمة:

يعد لفظ العولمة لفظا حديثا، يختلف مفهومه باختلاف المراجع التي تناولته حيث أثارت العولمة الكثير من الجدل والنقاش، بدايتا من التعريف بمفهومها مرورا بتحديد أبعادها ومظاهرها، ومن هنا يتبين لنا أن تحديد مفهوم العولمة يقتضي منا الوقوف على بعض المفاهيم للغوية والاصطلاحية التي تناولته.

[1].إدوار سعيد : الإستشراق، ترجمة : د محمد عنابي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 2006، ص 80..

[2].فاروق عمر فوزي: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ص 31.

أ. المفهوم اللغوي:

العولمة هي لفظ عربية تقابل الكلمة الإنجليزية Globalisation[1] والفرنسية Mondialisation وهي إحدى مشتقات الفعل "علم"،"عالم"،"يعالم"، عولمة على وزن فوعلة، وهي تعميم الشيء إلى أبعد حد ممكن، وتطبيقه على أوسع نطاق[2]' ذلك أن الصيغة الصرفية واحدة : فوعلة، ولا يهم ما إذا كانت هذه الصيغة قد وردت في كلام العرب أم لم ترد، فالحاجة المعاصرة تفرض استعمالها، وهي تدل على تحويل الشيء إلى وضعيته أخرى مثل "قولبة" من قولب أي وضع الشيء في صيغة قالب...الخ، ويستعمله الكثيرون اليوم : أسلمة، من أسلم، من إسلام، وتقابل كلمة العولمة كلمة الخوصصة والخصوصة مشتقة من فعل "خاص" مفرد خواص، والعولمة على هذا الاعتبار هي وضع الشيء على مستوى "العالم" مثلما أن الخصوصية هي وضعه على المستوى الخاص [3]

وقد أشار محمد عابد الجابري إلى أن العولمة في معناها اللغوي تعني تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله[4]

ب.المفهوم الإصلاحي:

إن صياغة تعريف دقيق للعولمة يبدو أمرا صعبا، نظرا لتعدد تعريفاتها التي ترتبط بإنحازات الباحثين الإيديولوجية واتجاهاتهم سواء بالرفض أو القبول، لذا فإننا سنحاول التعرض لمفهوم العولمة حسب التصورين الغربي الأوربي والعربي الإسلامي.

---

[1]. رضا عبد الواحد أمين: الإعلام والعولمة، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص 43.

[2]. معن النقري: العولمة الكوكبة منهجيا ونظريا وتطبيقيا، دمشق، ط1، 2003، ص 134.

[3]. محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر ؛ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط 1، 1997، ص 135.

[4]. محمد عايد الجابري: العولمة والحرية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، بيروت، 1998، ص 300.

1. العولمة عند بعض الدارسين الاوربيين:

ماتريين وولف[*] : العولمة حسبه هي عملية تحرر تاريخية من أسر الدولة القومية إلى أفق الإنسانية، ومن نظام التخطيط الصارم إلى نظام السوق الحرة ومن ثقافة ضيقة إلى ثقافة عالمية واحدة يتساوي فيها الناس جميعا[1]

جيمس روزانو: (أحد علماء السياسة الأمريكية).

يري أن العولمة هي العلاقة بين مستويات متعددة لتحليل الاقتصاد والسياسة والثقافة والإيديولوجيا وتشمل إعادة الانتاج وتداخل الصناعات عبر الحدود، وانتشار أسواق التمويل وتماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول نتيجة الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة[2]

2. العولمة عند بعض الدارسين العرب

صادق جلال العظم :

حيث يعرفها الدكتور السوري صادق جلال العظم بقوله"**هي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز بقيادتها وتحت سيطرتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ** "[3]

وبالتالي فالعولمة تسعى إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد وتوجيهه في إطار حضارة عالمية واحدة هي الحضارة الغربية، وفي هذا التكريس واضح للنزعة المركزية التي يقوم عليها النموذج الحضاري الغربي.

---

[*] صحفي بريطاني: وهو مساعد محرر ورئيس المعلقين الاقتصاديين في صحيفة فانيشال تايمز

[1] . حسن حنفي: محمد جلال العظم: العولمة، دار الفكر، دمشق، ط2، 2000، ص 30..

[2] . نعيمة شومان : العولمة بين النظم التكنولوجيا الحديث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1998، ص 40.

[3] – صادق جلال العظم: ماهي العولمة، مجلة الطريق، العدد الرابع، بيروت، 1997، ص 34.

محمد إبراهيم مبروك:

العولمة حسب محمد إبراهيم مبروك هي "تعاظم شيوع نمط الحياة الاستهلاكي الغربي وتعاظم آليات فرضه سياسيا وإقتصاديا وإعلاميا وحتى عسكريا، بعد التداعيات العالمية التي نجمت عن إنهيار الإتحاد السوفياتي وسقوط المعسكر الشرقي، وعلى ذلك فإن العولمة تكتسب عالميتها من مدى إتساع قدرتها على فرض هذا النمط على الشعوب وليس على أساس كونها واقعا فعليا يحيط بالشعوب والبلدان "[1]

بمعنى أن العولمة مفروضة بهدف تعميم نموذج الاستهلاك الغربي نتيجة إنتصار النظام الرأسمالي العالمي كونيا.

3. مجالات العولمة:

أ. المجال الاقتصادي:

يعتبر الجانب الاقتصادي من أهم أبعاد العولمة، حيث ترتكز العولمة الإقتصادية على مفهوم "إقتصاد السوق" فهي عملية سيادة مذهبية السوق وقوانينها على كافة الكرة الأرضية لتجعل العالم منطقة تجارة موحدة[2]

حيث تتحكم منظمة التجارة العالمية في الاقتصاد العالمي بنسبة 90 % وبالتالي فالكل ملزم بالدخول في اتفاقية الجات والتسليم بها [3]لكي يتفتح العالم بعضه، وتزداد سرعة النقل والمواصلات وتوسع السوق فتزول الحواجز أمام انتقال السلع والخدمات والأشخاص ورؤوس الأموال، فالعولمة الاقتصادية إذن تدعو إلى تعميم الاقتصاد والتبادل الحر.

[1]. عبد الحليم عمارغربي: العولمة الإقتصادية، دار أبي الفداء، للنشر، سوريا، 2013، ص 23.

[2]. المرجع نفسه ص 26.

[3]. سليمان بن صالح الخراشي: العولمة، ط1، داربلس للنشر، الرياض، 1420هـ، 2001م، ص 20.

كنموذج مرجعي وإلى قيم المنافسة والإنتاجية وهي تعد العالم بالرفاه والتقدم[1]

فالعولمة الإقتصادية تظهر أساسا في نمو وتعميق الاعتماد المتبادل بين إقتصاديات الدول الوطنية، وفي وحدة الأسواق المالية...هذه التجليات الاقتصادية برزت بوضوح من خلال التكتلات الإقتصادية العالمية (منطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية، الإتحاد الأوربي، رابطة دول جنوب شرق آسيا بالإضافة إلى تنامي دور الشركات المتعددة الجنسيات والمؤسسات المالية الدولية كصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير والمنظمة التجارة العالمية) [2]

ب. المجال السياسي:

يقوم الجانب السياسي للعولمة على الحرية في صورها المتعددة، حرية العقيدة والفكر والتعبير وحرية الإنظام إلى التنظيمات السياسية وتشكيل الأحزاب وحرية الإختيار ومن المظاهر السياسية للعولمة سقوط الأنظمة الدكتاتورية والشمولية والاتجاه إلى الديمقراطية والنزوع إلى التعددية السياسية وتأكيد احترام وصيانة حقوق الإنسان[3]

وبهذا فقد تم اجتياح الديمقراطية لأغلب مجتمعات المعمورة وصارت حقوق الإنسان وحرياته أهم الشعارات المتداولة على الصعيد العالمي، وهذه التجليات السياسية برزت بوضوح من خلال التجمعات والمؤتمرات والحوارات العالمية والمواثيق الدولية، ويعتبر مبدأ التدخل لأغراض إنسانية مثالا حيا لهذا الإهتمام ومثال ذلك التدخل الدولي عام 1993 من أجل إنقاذ الشعب الصومالي من أخطار المجاعة الفتاكة التي أخذت تقصف به بسبب انهيار الدولة وعجزها عن توفير الأسباب المعيشية للموطنين. [4]

---

[1]. عبد الحليم عمار غربي : العولمة الإقتصادية، ص 26.

[2]. المرجع نفسه، ص 27.

[3]. بدرية البشر: وقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي، دبي والرياض أنموذجان مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط1، 2008 ،ص 49.

[4]. رأفت دسوقي: عولمة المدير في العالم النامي، دار العلوم للنشر، القاهرة، 2006، ص 26.

كما أن النمو الملموس للمنظمات الدولية غير الحكومية يعتبر واحدا من أهم مظاهر العولمة السياسية، مثل منظمة حقوق الإنسان، ومنظمة العفو الدولية التي ترتكز على تحقيق السلام وحماية حقوق الإنسان[1]

لكن وعلى الرغم من التأكيد النظري على إحترام حقوق الإنسان، إلا أنه توجد أحيانا فجوة بين النظرية والتطبيق بسبب هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على الأمم المتحدة، ومجلس الأمن باعتبارها قوة عظمى تقوم بإصدار قرارات باسم الشرعية الدولية لحصار بعض الشعوب الذين شقوا عصا الطاعة عليها مثلما وقع في العراق، بسبب تملكه أسلحة الدمار الشامل كما يروج له من طرف الإعلام الغربي.

ج. المجال الثقافي:

تدعو العولمة إلى إيجاد ثقافة كونية أو عالمية تحوي منظومة من القيم والمعايير لفرضها على العالم أجمع، وحيث أن البعد الاقتصادي للعولمة يؤثر في الجانب الثقافي، فإن من يملك مقاليد القوة الاقتصادية يستطيع أن يفرض ثقافته على الطرف الأضعف اقتصاديا [2]

وبالتالي فإن محاولة توحيد الأفكار والقيم وأشكال السلوك في ثقافة عالمية واحدة تتمحور حول الذات الغربية، وبذلك فإن العولمة الثقافية من خلال عملية استبدال الثقافة المكتوبة بالسمعي البصري أي سيادة ثقافة الصورة كأداة للنظام الثقافي الجديد، حيث تمكنت من تحطيم الحاجر اللغوي وصنع الذوق الاستهلاكي فالعولمة الثقافية تشمل الموسيقى والسينما والتلفزيون والزى والطراز، وهي تسعى لفرض أزياء معينة حتى أصبح خبراء الأزياء يبدون بأهمية علماء الطاقة النووية [3]

فالتلفزيون اليوم يعد هو المحرض الأكثر إما على الثورة أو على الاستهلاك والمتعة، وهو الأداة الكبرى للتخضير السياسي في العالم لأن النص أو الفكرة تبدو غير ملونة وجذابة، ومن يمثلك اليوم سلطة

---

[1]. رأفت دسوقي: عولمة المدير في العالم النامي، ص 27.

[2]. المرجع نفسه، ص 34.

[3]. عبد الحليم غربي: العولمة الإقتصادية، ص 30.

الصورة سيصبح دون منازع هو مالك السلطة وبالتالي فان سيد الصورة هو سيد البلاد، و طغيان الصورة في الثقافة الجماهيرية هو طغيان الشكل على المضمون، والثقافة التي تفرضها الصورة هي ثقافة سطوح أصبحت أعماق في ظل العولمة الثقافية[1]

إذن فالعولمة من الناحية الثقافية ما هي إلا طغيان لثقافة الصورة بكل أشكالها والتي تكون موجهة من قبل الثقافة الأمريكية المهيمنة على العالم مستغلة في ذلك احتكارها للتقنية والإنتاج الإعلامي على الصعيد الدولي في مقابل التخلي عن ثقافة الكلمة أي ثقافة العقل أو ثقافة النخبة.

ثالثا: التمركز الغربي بين نهاية التاريخ وصدام الحضارات.

1. نهاية التاريخ.

أباحت الرؤية المركزية للغرب وأتاحت لمنظريها فلسفة القول النابعة من الواقع، والتي تتجه نحو اعتماد نظام عالمي جديد ينفرد في قيادته للعالم والسيطرة عليه، ومظاهر هذا الواقع تكرس حضارة جديدة بيدها مفاتيح تؤهلها لإدارة العالم، ما دفع ببعض مفكري النزعة المركزية إلى التأسيس لنظريات ومفاهيم جديدة على غرار أطروحة نهاية التاريخ للمفكر الأمريكي ذو الأصول اليابانية فرانسيس فوكوياما 1952.

فيا ترى ما هو التصور الذي تحمله هذه الأطروحة ؟

أ. فحوى أطروحة نهاية التاريخ:

لم يكن اسم فرانسيس فوكوياما معروف في أوساط الباحثين بدراساتهم المعمقة في أي حقل من حقول المعرفة الإنسانية، حتى ألقى هذا الشاب محاضرة بعنوان (نهاية التاريخ) وطور أفكارها في كتابه الصادر حديثا في باريس بعنوان (نهاية التاريخ وخاتم البشر) عام 1992 [2] لتحدث هذه الأطروحة بعدها ضجة إعلامية وفكرية وفلسفية.

[1].محمد سبيلا: زمن العولمة فيما وراء دوائر الوهم، دار توقبال للنشر، المغرب، ط1، 2006، ص 68.

[2]. شبشوب مريم: الأسس الفلسفية لظاهرة العولمة الامريكية (رسالة ماجستار غير منشورة)، جامعة الجزائر 2011، ص204

حيث تقوم أطروحة نهاية التاريخ على فكرة أساسية مفادها أن التاريخ البشري ينتهي ويقف عند حدود الدولة اللبرالية الحديثة، ففكرة نهاية التاريخ لا تعني نهاية حقبة وبداية أخرى، بل ان العصور الحديثة لا تستطيع أن تخرج عن الأفق اللبرالي الذي يشكل نهاية للتاريخ [1]

باعتبار النظام الليبرالي هو أفضل الأنظمة التي عرفها التاريخ البشري ولا يمكن للعقل البشري أن يصل إلى أفضل منها فهي تمثل نهاية التطور البشري وذروة الأنظمة ومنتهاها حيث يقول فوكوياما: "**إن فكرة التاريخ العام والغائي للبشر الذي يؤدي بنا إلى الديمقراطية الليبرالية أكثر قبولا لدى الناس**"[2] لأن النموذج الليبرالي هو تعبير عن كمال الحضارة حسبه، وباقي الشعوب التي لم تتوصل بعد إلى تطبيقه هي ملزمه بحكم حتمية التاريخ.

إذن فالشعوب كلها تسير نحو تحقيق غاية واحده هي الديمقراطية الليبرالية وان كان هناك اختلاف بينهم في زمن الوصول اليها، ويقدم لنا مثال العربات التي تجرها الخيول، بعضها مدرك لوجهته فيصل بأسرع ما يمكن في حين يظل الفريق الثاني طريقه بسبب هجمات الهنود الحمر التي يتعرض لها، لكنه يحاول الوصول إلى الهدف و يصل بشكل بطيء، أما الفريق الآخر، فينسحب من الرحلة لعدم قدرته على تحمل مشاقها، فيتنازل على فكرة الوصول إلى المدينة[3]

والتاريخ عند فوكوياما هو صراع بين رغبتين الميغالوثيميا و الأيزوثيميا، الأولى تعني تضخم الذات أو الرغبة في نيل الإعتراف بالتفوق على الآخرين وتبدوا أيضا في صورة الرغبة في الهيمنة على الأخر وهي تنشأ عن التيموس التي هي في الأصل تقييم المرء لنفسه، تكاد تكون مشتركة بين جميع الناس تقريبا، غير أنها تزداد درجات عند البعض فتتحول إلى ميغالوثميا [4]

---

[1]. محمد سبيلا: زمن العولمة، ص 66.,

[2]. فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1993، ص 193.

[3]. المرجع نفسه ص 194.

[4]. المرجع نفسه ص 165.

والإيزوثيميا هي الإعتدالية وهي عكس الميغالوثميا، فهي رغبة الإنسان في أن يعترف به مساويا للآخرين[1] لكن الديمقراطية الليبرالية تحتاج إلى الميغالوثميا أكثر مما تحتاج إلى الايزوثميا.

ب.**جذور أطروحة نهاية التاريخ:**

قبل أن يتناول فرانسيس فوكوياما أطروحة نهاية التاريخ سنه 1989كان قد تناولها العديد من الفلاسفة والمفكرين على غرار كل من:

أ. **هيجل** :حيث يرى الفيلسوف الألماني فريدريتش هيجل أن ثمة فكره ليس لها وجود مادي أو نسبي هي التي تحرك التاريخ ويطلق على هذه الفكرة عده أسماء منها الفكرة المطلقة العقل المطلق الروح المتناهي. ..الخ وهذا المطلق هو نتيجة النهائية التي نصل إليها عن طريق الجدل[2] فالتاريخ حسب هيجل قد وصل إلى محطته الأخيرة التي حققت الحرية وهي المتمثلة في المجتمع الجرماني، لما تحمله من قيم الحرية والعقل[3]

باعتبار أن العقل والروح هما محرك التاريخ، والتاريخ ينتهي حتما باكتمال العقل ومطابقته للواقع وفق قوله "**كل ما هو عقلاني واقعي وكل ما هو واقعي عقلاني**"

ب. كارل ماركس، أما ماركس فقد جعل من فعل الإنسان محرك للتاريخ البشري وعليه فالتاريخ البشري لم يتوقف إلا حين تصل البشرية إلى شكل من أشكال المجتمع الذي يشبع احتياجاته الأساسية والرئيسية، أي حينما لا يكون ثمة مجال لمزيد من التقدم في تطور المبادئ والأنظمة الأساسية لأن كافة المسائل الكبيرة حقا ستكون قد حلت، وهذا بحسب ماركس لن يتحقق إلا من خلال المجتمع الشيوعي [4]

---

[1]. فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر ، ص 166.

[2]. عبد الوهاب المسيري: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، دار الشروق، القاهرة، ط1, 1997، ص 264.

[3]. شبشوب مريم : الأسس الفلسفية لظاهرة العولمة الأمريكية، ص180.

[4]. فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص 09.

2. صدام الحضارات:

تعتبر فكرة صدام الحضارات من الأفكار التي تحتل مكانة مهمة في قائمة الاهتمامات لدى النخب الفكرية والسياسية ومركز البحوث المختلفة كما صار هذا الموضوع مطروح بقوة على جدول أعمال الكثير من اللقاءات الدولية الثقافية والسياسية وحتى الإقتصادية منها.

فيا ترى ما هي الأبعاد التي تقوم عليها أطروحة صدام الحضارات؟

1. عرض أطروحة صدام الحضارات:

يعد الأمريكي صمويل هنتنغتون (Hen Samuel ington/ 1827، 2008)هو مهندس أطروحة صدام الحضارات[1] التي نشرها في مقالة له في مجلة ثم صاغها بعد ذلك في كتابه صدام الحضارات وإعادة تنظيم النظام العالمي الصادر سنة 1996. وفحوى هذه الأطروحة هو أن الصراع في العالم الجديد لن يكون إيديولوجيا أو اقتصاديا بل سيكون الانقسام الكبير بين البشر والمصدر الغالب للصراع ثقافيا حيث يقول هنتنغتون" **فما يهم الناس ليس هو الإيديلوجيا أو المصالح الاقتصادية بل الإيمان والأسرة والدم والعقيدة، فذلك هو ما يجمع الناس وما يحاربون من أجله ويموتون في سبيله**"[2]

وبالتالي فالسياسة العالمية بعد الحرب الباردة يعاد تشكيلها على أساس الهوية الثقافية، باعتبارها العامل الرئيسي في تحديد العلاقات بين الشعوب، و الصراعات ستكون بين شعوب تنتمي إلى كيانات ثقافية مختلفة، بمعنى أن الشعوب التي تتشابه ثقافيا تتقارب فيما بينها وتتعاون اقتصاديا وسياسيا كالمنظمات الدولية التي تعتمد على دول بينها عناصر ثقافية مشتركة مثل الإتحاد الأوربي[3]، أما الشعوب التي تختلف ثقافيا فيما بينها فإنها تتباعد وتتصادم ولهذا فإن هنتغتون يعتبر أن انتصار المعسكر الغربي على المعسكر

---

[1]. مصطفى النشار: ما بعد العولمة، دار القبة للنشر، القاهرة، ط1، 2003، ص 102.

[2]. صمويل هنتنغتون: صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، مراجعة صلاح قنصوة؛ ط2، 1999، ص 10،

[3]. المرجع السابق، ص 47.

الشرقي هو بداية لصراع طويل ممتد بين الغرب النصراني[1] والحضارة الاسلامية و الآسيوية نتيجة رفضها للتغريب وفي هذا يقول هنتنغتون "**منذ منتصف التسعينات أصبحوا يترددون في إعلان تفوقهم على ثقافة الغرب، الحضارتان الآسيوية والإسلامية تقف كل منهما منفردة في ثقافتها المتزايدة وتأكيد نفسها بالنسبة للغرب وأحيانا تتفقان معا**"[2]

وبالتالي فإن هنتنغتون يبدي تخوفه من الحضارتين وبخاصة النمو الاقتصادي بالنسبة للحضارة الآسيوية وكذا النمو السكاني والتعبئة الاجتماعية بالنسبة للحضارة الإسلامية، لأن تحالفهما سيهدد الحضارة الغربية المتمثلة في المسيحية واليهودية من جهة والحضارات الإسلامية والكونفوشسية (الصينية) من جهة أخرى[3].

كما تمثل الحضارة عند هنتغتون أهمية كبرى فهي الشق الأعظم في مقولته صدام الحضارات، حيث يؤكد أن الحضارة هي أعلى تجمع ثقافي وأن محدداتها هي اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات ولذلك فهي تمثل حسبه عبارته أوسع مستويات الهوية، كالحضارة الأوربية والحضارة العربية والصينية[4]

إذن فتاريخ الإنسانية كله تاريخ للحضارات حيث يقول هنتغتون"**إن التاريخ الإنساني هو تاريخ الحضارات، ومن المستحيل أن نفكر بتاريخ الإنساني بأي معنى آخر**"[5]

والدين هو أهم عامل من العوامل الموضوعية التي تميز الحضارات وتحدد العلاقات بينها، فالناس المشتركون في العرق واللغة ويختلفون في الدين قد يذبحون بعضهم البعض، كما حدث في لبنان ويوغوسلافيا السابقة والأديان الكبرى ذات الرسالة مثل الإسلام والمسيحية على نحو خاص تضم مجتمعات من أجناس مختلفة[6]

1. سليمان بن صالح الخراشي: العولمة، ص 10.

2. صمويل هنتغتون: صدام الحضارات وإعادة النظام العالمي، ص 169.

3. محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، ص 99.

4. المرجع نفسه، ص 100.

5. صمويل هنتغتون: صدام الحضارات وإعادة صنع النظام، ص67 .

6. المرجع نفسه، ص 70.

وبالتالي فالاختلاف الذي يشكل تهديدا للحضارة الغربية حسب هنتنغتون هو الاختلاف في الدين لأن الدين هو محرك الحضارة.

2. جذور نظرية صدام الحضارات:

في واقع الأمر لا يعد صمويل هنتغتون هو مبتكر أطروحة صدام الحضارات لذا فلابد لنا من التعرف على بعض الكتابات التي سبقت مقالة هنتفتون والتي تفصح عن إتجاه في التفكير سائد في الغرب وجاءت مقالة هنتنغتون لتعبر عنه بصراحة وقوة، ولعل من أهم من سبقه إلى ذلك نذكر:

برناردلويس (Bernard louis 1916) :

هو مؤرخ ومستشرق بريطاني ذو أصول يهودية عرف بمعاداته للعرب والمسلمين ظهرت له مقالة قبل مقالة هنتنغتون بنحو سنتين ونصف في مجلة الشؤون الدولية الأمريكية بتاريخ 03 تموز 1991 بعنوان "**السياسية الواقعية في العالم الجديد أنماط جديدة للأمن العالمي في القرن الواحد والعشرين** "[1]

إذ يرمي هذا المقال إلى رسم صورة للتطورات المحتملة المنتظرة أو التي بدأت بالفعل على الصعيد العالمي بعد انهيار ما كان يسمى بالكتلة الشيوعية، وبالتالي فصاحب المقال يدعو إلى اعتماد تصنيف جديد لفهم الوضع العالمي الراهن، والتصنيف الذي يختاره الكاتب هو الذي يقسم العالم كله إلى "مركز" و "أطراف" أما المركز فهو كتلة رئيسية من الاقتصاديات الرأسمالية المسيطرة على العالم وأما الأطراف فهي مجموعة من الدول الأضعف من النواحي الصناعية، المالية، والسياسية، تتحرك ضمن نمط من العلاقات التي يشكلها المركز في المقام الأول، بالإضافة إلى ذلك "أشباه الأطراف" وهي الدول الأقوى من الأطراف[2] ،وأما التصادم الحضاري فهو نظره أوضح ما يكون بين الغرب والإسلام، نظرا للتعارض بين القيم العلمانية السائدة في الغرب، وبين القيم الإسلامية ونظرا للتنافس التاريخي بين المسيحية والإسلام ولغيرة المسلمين من قوة الغرب، إضافتا إلى الجوار الجغرافي وهكذا يقول برنادرلويس " **إذا اجتمع خطر الهجرة وخطر**

[1]. محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، ص 87.

[2].المرجع نفسه، ص 88.

تصادم الثقافات أصبح من السهل وضع تصور النوع من الحرب الباردة الإجتماعية بين المركز وجزء من الأطراف على الأقل ولا سيما بين الغرب والإسلام"[1]

وهكذا فالحرب الباردة الحضارية المقبلة ستكون بين طرفين الغرب من جهة والحضارتان الإسلامية والهندية من جهة أخرى وذلك ما قال به هنتنغتون من بعد مع تعديل واحد هو وضع الحضارة الكونفوشوسية مكان الحضارة الهندية.[2]

[1]. محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر نفسه، ص90 .

[2]. ، المرجع نفسه، ص 10،11.

الفصل الثانى

موقَف روجى

غارودى النقَدى من

المركزيةُ الغربيةُ

تمهيد

تعتبر الحضارة الغربية من أهم الحضارات التي بسطت سيطرتها على العالم منذ نشأتها كونها حضارة تكنولوجيا تعلى من قيم الكفاءة والإنجاز والتقدم مهما كان الثمن المادي والمعنوي المدفوع فيها، وترى أن البقاء للأصلح والأقوى دائما لذا نجدها تهمل كثيرا الآخر اللاغربي بل إن الخطاب الحضاري الغربي يسعى دائما إلى اختزال الآخر وفرض منطق متحيز عليه، من خلال التلاعب بالمستويات التعميمية والتخصصية له، ومن خلال نزعه وفصله من سياق البناء الحضاري، حتى تحول هذا المنطق إلى جريمة ارتكبها النموذج الحضاري الغربي القائم على فكرة المركزية في حق الإنسان، الشيء الذي جعل من عقلاء المجتمع الإنساني أمام حتمية الرد على مثل هذه الرؤى القائمة على إقصاء الآخر وعدم الاعتراف به، فتعالت أصوات من داخل الغرب ومن خارجه ترفض هذه النزعة، ومن قلب الغرب أتى غارودي الذي انتقد بشدة المركزية الغربية.

فما هي منطلقات روجي غارودي الأساسية في نقده للمركزية الغربية ؟ وما هو المصير الذي ستؤول إليه في النهاية؟

المبحث الأول: روجي غارودي وموقفه من الدراسات الإستشراقية.

أولا: روجي غارودي ومساره الفكري.

أ. حياته:

هو روجي جان شارل غارودي ولد في مرسيليا بفرنسا في 17 جويلية 1913 لأبوين ملحدين، تلقى دروسه الأولى في مرسيليا قبل أن ينتقل إلى مدرسة هنري الرابع في باريس ورغم نشوءه بين أحضان أسرته الملحدة، فإن ذلك لم يمنعه من أن يعتنق البروتستانية عام 1927، أي وهو لا يزال في الرابعة عشر من عمره[1] صال و جال غارودي في ميدان الفلسفة دراستا وبحثا ونقدا، كواحد من أبرز المفكرين المعاصرين، وقد عكف على دراسة الأديان والمذاهب والفلسفات بحثا عن كثير من التساؤلات

[1] لبنى برهوم: جدل الغرب والإسلام (رسالة مجستير غير منشورة)جامعة باتنة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والاسلامية، 2011، 2012، ص 40.

عن الإنسان، حيث جعل قضيته الأساسية في الفكر والحياة هي قضية الإنسان فقد كان يمثل دائما حسبه مبدأ وغاية وقيمة لكل عمل سياسي، أو فني أو ديني، أو اقتصادي أو فكري، أو حضاري...الخ.

وافته المنية يوم الأربعاء 13جوان 2012 عن عمر يناهز 99سنة.

ب. مساره الفكري:

لقد عرفت حياته الفكرية جملة من التحولات والتغيرات لها دلالاته الإنسانية والتي سنشير إليها بوضوح فيما يلي:

1. إعتناقه للمسيحية:

اعتنق روجي غارودي البروتستانتية عام 1927 بهدف إعطاء معنى لحياته[1]، فهو لم يعتنقها تقليدا أو تسليما بالوراثة، وإنما فكرا واقتناعا فهو يرى أن الإنسان يحتاج في حياته للبعد الروحي الذي يستمد منه الإيمان بالله وقد أدرك أهمية هذا البعد في حياة الإنسان، ومن ثم آمن بالدين على انه عمل وفعل والتزام[2]، وفي هذه المرحلة من تطوره الفكري حمل صليبه يكرز بمبادئ المسيحية من أجل أخوة تأخذ على عاتقها ترديد قول الإنجيل "**لا تدينوا أحدا، لأنكم بالدينونة التي تدينون بها تدانون، وبالمكيال الذي تكيلون به يكال لكم**" وقد إستمر في هذا الإتجاه غير قليل من عمره الفكري حتى عثر على ما رآه . أناذاك بالأسلوب الأمثل في مواجهة أزمات الحياة الكثيرة والمتلاحقة أعني الفكر اليساري وبدأ نضاله من موقع جديد[3]

[1]ـ روجي غارودي: لماذا أسلمت؟ نصف القرن من البحث عن الحقيقية دراسة محمد عثمان الخشة: مكتبة القرآن للنشر، القاهرة، ط1،1999، ص 11.

[2]. رامي كلاوي: روجي غارودي الالحاد إلى الإيمان، لقاءات ومحاضرات، دار قتيبة للنشر. دمشق، ط1، 1990، ص 43.

[3]. روجي غارودي: لماذا أسلمت؟ ، ص 12.

2. انخراطه في الشيوعية:

في عام 1933 انظم غارودي إلى الحزب الشيوعي الفرنسي لاعتقاده أن الشيوعية هي الحل الأمثل لتجاوز الأزمات التي أفرزتها الرأسمالية. فكان ذلك فرصة مهمة مكنته من الإطلاع الواسع والإلمام بمؤلفات كارل ماركس(karl marx 1883 _ 1818) ولم يجد في ذلك تعارضا بين اعتناقه المسيحية وارتباطه بالحزب الشيوعي، وبالتالي فإن غارودي لم يكن ملحدا في يوم من الأيام، حتى عندما كان عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي، فقد كان في الوقت نفسه رئيس الشباب المسيحيين البروتستانت، وانتسب للحزب الشيوعي كمسيحي، لأنه وفي تلك الفترة كانت الشيوعية تقدم في نظر الأوربي الحل الوحيد الذي يطرح بديلا للخروج من أزمة الرأسمالية، كما أنه كان أفضل جبهة تقاوم هتلر والنازية[1]

فقد رأى غارودي في الماركسية الأسلوب الأمثل لمعالجة المشكلات الإنسانية المستعصية بأسلوب علمي واقعي يأخذ على عاتقه مهمة تحقيق مصالح الجماهير، هذه الفئة الأكثر اتساعا والأعرض انتشارا في صفوف الإنسانية جمعاء. وقد جاهر بدعوته قائلا"**المادية الديالكتيكية، تنتج لنا استبعاد كل ما يشكل عقبة في طريق البحث ويجعله عقيما، وهي أداة العمل التي لا غنى عنها لكل عالم يهتم بأن لا تنصب خصوبة فكره أو بحثه، بسبب أي وهم مسبق مضاد للعلم**"[2]وفي هذه المرحلة كان تبني غارودي للمقولات الماركسية واضحا سواء في أطروحة الدكتوراه التي نالها في فرنسا (**النظرية المادية للمعرفة**) أو في أطروحة الدكتوراه التي نالها من موسكو حول (**الحرية**).

3. مراجعة الماركسية:

إن المشروع الإنساني الذي تحمله الماركسية هو الذي جعل غارودي يقبل عليها ويؤمن بها إيمانا دوغمائيا (دون أن يفتح عينيه كما عبر عن ذلك مجازا) لكونها تتقاطع مع مشروعه الفكري الإنساني، ومن هنا كانت صدمته كبيرة لدرجة أنه فكر في الانتحار بعدما اكتشف عقب البيان السري

[1]. روجي غارودي: لماذا أسلمت؟ ص 15.

[2]. المصدر نفسه، ص 16.

لمؤتمر الحزب الشيوعي السوفياتي الذي تلاه خروتشوف[1] سنة 1956، ذلك التناقض الموجود بين المشروع الماركسي وبين الواقع أي ممارسة بعض الماركسيين وتحديدا ستالين[2]، هذه الممارسات التي إعتبرها بمثابة خيانة لفكر ماركس، لكونها أضاعت جوهر هذا الفكر وهو بعده الإنساني[3] وقد إعتبر سيرج بيروتينو هذه الصدمة بأنها كانت مأساة إنعطافية حادة بالنسبة للرجل فيقول "**تشكل هذه المأساة أعمق مأساة في حياة غارودي وهي أساس ومبدأ كل نتاجه اللاحق، وركن الازدهار الجديد لبحثه**"[4] وما فتئ غارودي منذ 1956 يجري حوارا فكريا مع الماركسية الجامدة التي تحجرت في قوالب بعينها منعتها من الاستجابة لروح العصر، فراح ينتقد الماركسية المنقولة، ويؤكد على الطابع الجدلي فيها فقط وفي عام 1966، أصدر غارودي كتابه ماركسية القرن العشرين حيث بدأ يبني موقفا نقديا متميزا للكثير من المسلمات الماركسية الثابتة، متعرضا لعدم الرضى المتزايد من جنب زملائه في الأحزاب الشيوعية إلا قليلا.

وفي هذا الكتاب يتهم غارودي الماركسية بالتحول إلى دين رسمي ذي طقوس وأتباع ويبين أن هذا مخالف لقول إنجلز"**نظريتنا ليست ناموسا إلهيا، ناموسا يجب حفظه عن ظهر القلب، وترديده بصورة آلية، بل هي دليل عمل** "وانتقد فيهم الفهم الجزافي لمقولة "**الدين أفيون الشعوب**" فالقول بأن الدين في كل زمان ومكان يصرف الإنسان عن العمل والكفاح متناقض تناقضا صارخا مع الواقع التاريخي[5]

[1]. الشريف طوطاو: الإنسان في فلسفة رجاء غارودي في (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة قسنطينة، 2010، ص 14.

[2]. ستالين (1871، 1953) رئيس الإتحاد السوفياتي بين 1924، 1953، عرف بصرامته وحكمته العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية.

[3]. خروتشوف: الأمين العام للحزب الشيوعي السوفياتي سنة 1953، ورئيس الإتحاد السوفياتي سنة 1956، عرف بشدة تعامله أثناء الحرب الباردة، 1894، 1971.

[4] سرج بيروتينو: جارودي، ترجمة : منى النجار، المؤسسة العربية، بيروت، ص 21.

[5]. روجي غارودي : لماذا أسلمت؟ ص 38.

وفي عام 1968 نشر غارودي كتابه **في سبيل نموذج وطني للاشتراكية** راجع فيه الكثير من المقولات الماركسية التي تعتبرها غالبية الماركسيين ثوابت مقدسة لا تمس كمفهوم الطبقة العاملة.

وفي عام 1969 أصدر كتابه **منطق الاشتراكية الكبير** والذي طالب فيه غارودي بصراحة ضرورة تعديل وتصحيح الماركسية[1]

4. مرحلة اشتراكية التسيير الذاتي:

بعد أن اكتشف غارودي أنه خدع في فكرته عن الحزب الشيوعي كان الدرس الذي استفادة من ذلك كله أنه لن يؤمن بشيء بعد ذلك إلا وعيونه متفتحة وبعد جملة من الصراعات بين غارودي وبعض الشيوعيين إنتهى به المطاف إلى فصله من الحزب الشيوعي الفرنسي [2] وبعد عامين من خروج غارودي من الحزب الشيوعي أصدر كتابا هاما هو "**البديل**" الذي اعتبره نداءا وحافزا لكل من يحب المستقبل، لكل من يجد معنى حياته وفرحها في نقل المساهمة في الخلق: الخلق بالعمل الفني بالإيمان، بالحب، بالفكرة، أو بالثورة للشبيبة أولا، لأن الشباب هو أن نكون قادرين على أن نتصور، وعلى أن نحيا حياة مختلفة عن تلك التي نعيشها اليوم، وهذا الكتاب ليس هو برنامج ولا يرمي إلى انشاء حزب إنما هو مشروع حضارة[3]، كما يتكلم غارودي في هذه المرحلة عن جملة من المخاطر التي تقود البشرية إلى مزالق قاتلة والتي حولت الأنهار إلى بحار، والبحار إلى مستنقعات، والأرض إلى نفايات، والعلة الرئيسية لهذا الوضع هو الاستعمار الجديد المتمثل في الرأسمالية الجديدة، بالإضافة إلى سوء إستخدام الغرب للعلم والتقنية والحل حسب غارودي من كل هذا يكمن في ضرورة تحرير العمل والأرض والمال من رقبة قوانين السوق والربح، وهذا التحرير هو ما يطلق عليه غارودي بإشتراكية التسيير الذاتي التي تختلف عن الاشتراكية المألوفة هدفها خدمة الإنسان بكل أبعاده[4]

---

[1] روجي غارودي : لماذا أسلمت؟، ص 39.

[2] الشريف طوطاو: الإنسان في فلسفة رجاء غارودي ، ص 15.

[3] .روجي غاروجي: لماذا أسلمت؟ ص 47.

[4] .المصدر نفسه، ص 50.

5. اعتناقه للإسلام:

إن لقاء غارودي بالإسلام وإيمانه بالدور الذي يمكن أن يساهم به في تحقيق مشروعه الإنساني لا يبدأ بلحظة إعلان إسلامه في 02 جويلية 1982، بل إن هذا الإعلان سبقه لقاء فكري منذ سنوات عديدة، ولعل الحادث الذي وقع له في سجن الجلفة بالجزائر والمتمثل في رفض الحراس الجزائريين المسلمين تنفيذ أمر قائد السجن الفرنسي القاضي بإطلاق النار على غارودي وبعض رفاقه، وقد كان هذا الرفض من منطلق ديني إسلامي لعل هذه الحادثة تمثل أول محطة في علاقة غارودي بالإسلام، وبعدها تلتها محطات أخرى في مقدمتها لقاؤه بالشيخ البشير الإبراهيمي الذي حدثه على الإسلام وبعض رجالاته، كالأمير عبد القادر رجل التصوف وبطل المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، وعن هذا اللقاء يقول غارودي"**وفي مقر الشيخ البشير الإبراهيمي لاحظت صورة كبيرة لرجل مهيب، ولأول مرة أتعرف على صاحبها عندما شرح لي الشيخ البشير جوانب من حياة الأمير عبد القادر كبطل محارب وعابد وناسك، بل واحد من أعظم أبطال القرن التاسع عشر ويعتبر هذا الدرس من الشيخ البشير الإبراهيمي بالنسبة لي المرة الثانية التي التقى فيها بالإسلام**"[1] فمن خلال شخصية الأمير عبد القادر اكتشف غارودي إحدى خصوصيات الدين الإسلامي المتمثلة في كونه دين إيمان وعمل، هذه العلاقة لغارودي بالإسلام تجسدت في عمل فكري يتمثل في كتابه "الإسلام التاريخي للحضارة العربية الإسلامية" المنشورة سنة 1944.

ثم توطدت علاقة غارودي بالإسلام أكثر فأكثر بفصل مطالعته وجولاته في البلاد الإسلامية وإحتكاكه بالعلماء والمفكرين المسلمين وهو ما جعله أكثر فهما للإسلام وبعده الإنساني هذا الفهم يتضح لنا من خلال كتابه "**حوار الحضارات**" الذي ألفه سنة 1977م، ثم كتاب"**نداء إلى الأحياء**" الذي ألفه سنة 1979م، ومن خلاله تظهر معالم اقتناعه بالإسلام وثقته فيه قبل أن يعلن إسلامه رسميا فحديثه عن الإسلام يقم عن إيمان عقائدي وليس حديث عن مذهب أو اتجاه فكري أو فلسفي، وهذا ما تكتشفه بعض مؤلفاته أهمها "**وعود الإسلام**" الذي نشره سنة 1981م، وكتاب "**الإسلام دين المستقبل**" المنشور

[1].نقلا طوطاو الشريف: الإنسان في فلسفة رجاء غارودي، ص 16، 17.

سنة 1982م، فكتاب "**لماذا أسلمت**" الذي يمثل إعادة بناء لكل مقومات غارودي السابقة عن الإسلام[1].

وبالتالي فإن غارودي قد آمن بقوة الإسلام في حل المشاكل التي يعيش فيها عالمنا اليوم، فالرجل إذن لم يسلم بمحض الصدفة بل جاء إسلامه بعد بحث طويل في حضارات وديانات العالم، وفي هذا الصدد يقول غارودي "**أحب أن أقول أن انتمائي للإسلام لم يأت بمحض الصدفة بل جاء بعد رحلة عناء بحث، ورحلة طويلة تخللتها منعطفات كثيرة حتى وصلت إلى مرحلة اليقين الكامل والخلود إلى العقيدة، أو الديانة التي تمثل الاستقرار، والإسلام في نظري هو الاستقرار**"[2]

وبالتالي فإن غارودي قد رأى في الإسلام بأنه حامل الإجابة عن كل أسئلة حياته.

ثانيا: الإستشراق من منظور غارودي:

إذا كانت الدراسات الإستشراقية التي تختص بدراسة الشرق وحضاراته وشعوبه ومناطقه قد عرفت عدد لا يحصى من الباحثين الذين وقفوا حياتهم على البحث، فحرروا النصوص وترجموها، ووضعوا بحث النحو وألغو المعاجم، غير أن هذا لا يعني بأن الإستشراق يمثل مظهر إيجابي بشأن الشرق يمكننا صد وجوده في الغرب[3]بل إن الانتشار السريع للإسلام في المشرق والمغرب قد لفت بقوة أنظار رجال اللاهوت، وغيرهم من النصارى واليهود إلى هذا الدين، ومن هنا بدأ الاهتمام بدراسة الإسلام حتى يتعرفوا على ما فيه حتى سقطت في رأي بعضهم، فيكون ذلك مدعاة لصرف أبناء جلدتهم عن الدخول فيه بعد أن أبهرتهم بطولات المسلمين في الحروب الصليبية واستأثروا عن طريق المعاملات الحسنة لأسراهم، والرحمة والعطف على جرحاهم[4]فراحوا يجتهدون في خلق تمثلات ويصفون حقائق مزيفة

[1]. نقلا طوطاو الشريف: الإنسان في فلسفة رجاء غارودي، ص 18.

[2].روجي غارودي: لماذا أسلمت؟، ص 69.

[3].ادوارد سعيد: الإستشراق، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر، القاهرة، ط1، 2006، ص 319.

[4].عبد الرحمان عميرة: الإسلام والمسلمون بين أحقاد التغيير وظلال الإستشراق، دار الجيل، بيروت، ط1، 1999م، ص 90، 91.

عن الإسلام من منطق هذه الدراسات الإستشراقية لتكريس المركزية الأوربية التي غالبا ما تظهر احتقارا للشرق.[1]

وهذا ما أثبته الفيلسوف الفرنسي المسلم روجي غارودي الذي يرى أن العقبة الرئيسية هي النظرة التي يحملها الغرب من أكثر من ألف سنة على الإسلام هذه النظرة البغيضة عن الإسلام ما تزال تفسد وتشوه صورة الإسلام[2]. من خلال وصفه بشتى النعوت المذمومة كالإرهاب والتعصب والتطرف، حيث نشرت جريدة الأهرام حوارا مهما مع روجي غارودي في **29 مارس 1993م**، عن التطرق ومن بين ما جاء فيه قول غارودي "**لقد لاحظت أن الغرب دائما يخلط معتمدا بين الأصولية المتطرفة، وبين الدين الإسلامي وبعبارة أخرى كان علي كمسلم يعتز بدينه أن أكشف عن هذا الزيف الذي لا تكف وسائل الإعلام الغربية عن تكراره في هذه الفترة، حيث تسعى إلى إلصاق صفات التطرف والجمود بالإسلام** "[3]وبالتالي فإن غارودي يرى بأن الدور الأول الذي تلعبه الدراسات الإستشراقية هو تشويه حقيقة الإسلام بغية بسط هيمنتها وفرض نفوذها على مختلف الثقافات والشعوب وهذا أيضا ما يؤكده عبد الحميد غراب بقوله"**الإستشراق دراسة أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون من أهل الكتاب بوجه خاص، للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخا ونظما وثروات وإمكانات بهدف تشويه الإسلام**"[4]إذن فالغاية من وراء الدراسات الإستشراقية هي محاولة تشكيك المسلمين فيه، وتظليل غيرهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات على العلمية والموضوعية وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي.

[1].جيرار ليكارك : العولمة الثقافية الحضارات على المحك، ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ط1، 2004، ص 377.

[2].روجي غارودي: وعود الإسلام: ترجمة ذوقان قرقوط، دار الشرقي، بيروت، ط2، 1985، ص 187.

[3].محمد إبراهيم الفيومي: الإستشراق، رسالة الإستعمار، دار الفكر العربي، مصر، 1993، ص 10.

[4].أحمد عبد الحميد غراب: رؤية إسلامية للإستشراق، المنتدى الإسلامي، برمنجاهم، 1991م، ص 07.

ومن جهة أخرى فإن غارودي من خلال دراسة للإسلام باعتباره قوة حية ليس له تقديرات ماضية، ومما يحمله اليوم من ابتكارات إنسانية فهو يرى أن العائق الأساسي لرؤية الحقيقة هو ما تكنه أوربا للإسلام من كراهية حتى اليوم حيث اختلقت الحروب الصليبية صورة مبغضة لهذا الدين في الغرب، مثلما سعى المستشرقون للتشهير به، ولهذا فإن الدراسات الإستشراقية هذه أخذت في خلق افتراءات على العقيدة والشريعة والمصدر، لكي تضعف الروح الإسلامية عند المسلمين وتبث الفرقة بينهم وتسعى بكل قوة إلى تنصيرهم[1] وفي هذا يقول غارودي"**إن الإستشراق لم يكن حركة نزيهة منذ البداية إذا كان الهدف منه تنفيذ مشروع يرمي إلى إدخال المسلمين في النصرانية**"[2] إذن فالتنصير يتفق مع الإستشراق بل انه لا يمكن فصل الإستشراق عن التنصير، باعتباره الطريقة الوحيدة التي يمكن بها توسيع رقعة العالم المسيحي، حيث يقوم التنصير على إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين النصراني[3]، وقد جاء في خطاب للمراجع الأكاديمية المسؤولة في جامعة كمبردح بتاريخ 09 ماي 1636م بمناسبة إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج ما يلي"**نحن ندرك أننا لا نهدف من هذا الفصل إلى الاقتراب من الأدب الجيد، بتعريض جانب كبير من المعرفة للنور، بدلا من احتباسه في نطاق هذه اللغة التي تسعى لتعلمها ولكننا نهدف أيضا إلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظلمات**[4]"بمعنى ان الهدف الرئيسي من وراء هذه الدراسات الإستشراقية هو خدمة الكنيسة من خلال التركيز على فكرة التنصير باعتماد طرق علمية في ذلك بدايتا بدراسة اللغة خاصة حين يتعلق الأمر بمجتمع متدين كالمجتمع المسلم.

كما أن الدور الذي يلعبه الإستشراق حسب غارودي لا يقف فقط عند حد تشويه محاسن الإسلام وإضعاف الروح الإسلامية عند المسلمين، والعمل عن تنصيرهم بل ان الإستشراق يقف أيضا

[1].روجي غارودي: لماذا أسلمت؟ ص 83.

[2].عبد المنعم فؤاد: من إفتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، مكتبة العبيكان، الرياض،ط1، 2001، ص 32 .

[3].روجي غارودي: لماذا أسلمت؟، ص 83.

[4].نقلا عن محمود حمدي زقزوق: الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف القاهرة، 1997، ص 31.

عند حد مساعدة الهيئات الإمبريالية وتشجيع الاستعمار وتكريس الهيمنة على أراضي واسعة وأجناس متعددة كما يساهم أيضا في بناء أسس لمشروعية الأحكام التعسفية، التي جعلها الغرب ذريعة لاستغلال الشعوب الأخرى، فالأوربيون إذن لم يهتموا بدراسة الإسلام من أجل الوقوف على حقيقته بل اهتم به المستشرقون لأغراض الصراعات الإيديولوجية[1] لأن أشد ما يخشاه الغرب هو الإسلام وإنتشاره بإعتباره الوحيد من بين الأديان والمذاهب والأيديولوجيات الذي يستطيع أن يقف في طريق أطماع الغرب وسيطرته على العالم سياسيا وحضاريا ودينيا وفكريا، ولهذا كان لا بد للغرب من معرفة أحوال هذا الشرق ومداخل السيطرة عليه واستعماره، والاستبداد به، حيث يؤكد روجي غارودي على الدور الاستعماري الكبير الذي يلعبه الإستشراق وفقا لأمنيات وحاجيات الهيمنة الغربية، ولذلك يقدم لنا غارودي أشهر الأمثلة التي تثبت صحة ذلك، فالجد الأكبر للإستشراق العلمي ليس فحسب بالنسبة لفرنسا بل بالنسبة لأوربا أيضا وهو سلفستر دي سامي (1757م/ 1838م) أول أستاذ للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية والتي أصبح مديرا لها عام 1824[2] والأستاذ في الكوليج دي فرانس، قد كان يمارس وظيفة موازية أخرى في وزارة الشؤون الخارجية، حيث حرر كمستشار لسياسة فرنسا الشرقية نشرات وبيانات جيش نابليون ثم نداء الجيش الفرنسي للاحتلال الجزائري عام 1830م.

وكان ماكس مولر (1823م، 1900م) الآمر الناهي في أكسفورد كأستاذ للغة السنسكريتيه وللديانات الشرقية، يقوم في كامبردج بإلقاء محاضرات في تدريب وإعداد الإداريين الاستعماريين للهند 1882م.

أما روث بنديكث (1887م، 1948م) الأستاذ في جامعة كولومبيا، فقد كتب عام 1946م أشهر مؤلفاته السيف والأقحوان نزولا عند رغبة مخابرات الجنرال ماك آرثر، وبتمويل منها لتسهيل ضم اليابان إلى مشروعات السياسة الأمريكية.

[1].روجي غارودي: لماذا أسلمت؟ ، ص 84.

[2].روجي غارودي: وعود الإسلام، ص 188.

فالإستشراق إذا كما يرى غارودي قد جند في خدمة المشاريع الإمبريالية[1] والسياسة الاستعمارية في العالم الثالث وساهم على نطاق واسع لخدمة الغربيين في خلق تسويغ علمي لأحكامهم المسبقة ولطموحاتهم ومزاعمهم في الهيمنة، وفي النهاية لسيطرتهم بداية في صياغة أسلوب للنظر إلى الآخرين ليس بمحاولة التعلم عن عقيدتهم وثقافتهم اللتين تساعدان على النظر إليهم عن الداخل وإنما على العكس بالحكم عليهم من الخارج انطلاقا من معايير الغربيين الخاصة ،كما لو كان مسار الحضارة الغربية هو النموذج الممكن الوحيد الذي يجب أن يتبع[2]

المبحث الثاني: موقف غارودي من ظاهرة العولمة.

1. العولمة تفاقم للتفاوت وتعميم الفقر.

إن عدد كبيرا من المفكرين والباحثين والممولين الغربيين أنفسهم يعلنون في كتاباتهم وخطبهم أن العولمة بصيغتها العالمية قد فشلت، وأن أردنا أن نكون أكثر دقة وأكثر تحديدا نقول بأن البعد الأكثر تعرضا للنقد والهجوم هو البعد الاقتصادي في العولمة حيث يقود العولمة فاعلون اقتصاديون من نوع جديد، يتمثلون أساسا في مالكي رؤوس الأموال عبر شركات ومؤسسات متعددة الجنسيات، والغاية التي يصبون إليها هي القفز على حدود الداخل والخارج والسيطرة على المجال الاقتصادي والمالي...وبما أن عملية التنافس والاندماج التي تحكم هذا النوع من النشاط الاقتصادي تعمل على التركيز والتقليص من عدد الفاعلين فان النتيجة الحتمية هي تركز الثروة العالمية في أيدي أقلية من الملأ[3].

وفي هذا المجال يقدر الباحثون المختصون أن ما لا يزيد عن خمسة عشر شبكة عالمية مندمجة بهذا القدر أو ذاك هي التي تشكل الفاعل الحقيقي في مجال السيطرة على السوق العالمية، وأن أصحاب هذه الشبكة هم السادة الفعليون للعالم الجديد عالم العولمة، ولهذا فان أول مظاهر العولمة هو تركيز النشاط

[1].الامبريالية: مصطلح للدلالة على الهيمنة والسيطرة في مختلف المجالات بإستخدام الأدوات الإقتصادية والثقافية...الخ.

[2].روجي غارودي: وعود الإسلام ص 189.

[3].محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، ص 139.

الاقتصادي على الصعيد العالمي في يد مجموعات قليلة العدد، وبالتالي تهميش الباقي أو إقصاؤه بالمرة[1]، وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف روجي غارودي الذي اعتبر المجتمع الإنساني يعيش في ظل العولمة حالة من اللاتوازن ما فتئت تتفاقم، وأن استمرار هذه الأزمة أصبح يهدد الإنسانية في مصيرها بسبب النمو الاقتصادي الوحشي الذي تفرضه الدكتاتوريات اللاإنسانية باسم العولمة حيث يقول غارودي"**العولمة نظام يمكن الأقوياء من فرض الدكتاتوريات اللاإنسانية التي تسمح بإفتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق** "[2].

ولهذا فإن كوكبنا الأرضي حسب غارودي قد أصبح في ظل العولمة مهدد بالانتحار والسبب الرئيسي لهذه الإدارة المشؤومة للأرض هو اقتصاد السوق الذي لا يعرف الحدود الذي لا يهدف إلى إشباع الحاجات وإنما إلى تحقيق أقصى دمج ولا يستجيب إلا إلى الحاجات الموسورة المستوفاة ماليا، هدفه الأول هو دعم الأسعار بتخفيض الإنتاج الزراعي، وأن يدفع لمربي المواشي كي ينتجوا لنا أقل، ويقوم بتوسيع رقعة الأراضي المتروكة بلا زراعة، إن نظام اقتصاد السوق هذا يولد نظام مملكة المال، الفساد، وأيضا العنف حيث يعتبر التفاوت الفظ في مدننا بين الثراء الفاحش من ناحية، والبطالة والمستقبل الخالي من الأصل لملايين الشباب من ناحية أخرى، وتركز الثروة في قطب والبؤس في قطب آخر، منبعا لإنفجارات العنف والتخريب[3]الشيء الذي سيؤدي إلى انتحار كوكبنا إن استمر الوضع على ما هو عليه وهذا أما أعلنه غارودي بقوله"**إن انتحار كوكبنا، في هذا العدد القليل من السنين التي لا تزال تفصلنا عن القرن الواحد والعشرين، أمر غير مستبعد إذا حاول جزء من العالم أن يفرض بالقوة وحدة تسليطه**"[4] حيث نجد أن 80% من المصادر الطبيعية في كوكبنا يستهلكها ويسيطر عليها في أيامنا هذه 20% من سكانه ويقضي هذا التصدع في العالم إلى 40 مليون من الموتى كل عام "منهم 15 مليون ونصف من الأطفال تقول منظمو اليونيسيف إلى سبب سوء التغذية أو الجوع وهذا يعني أن نمط التنمية

[1]. محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر ، ص 140.

[2] المرجع نفسه: ص142.

[3].روجي غارودي: كيف نضع المستقبل؟ ترجمة: منى طلبة، تقديم: أنور مغيث، دار الشروق القاهرة، ط1، 1999، ص 25.

[4].روجي غارودي: حفار والقبور، ترجمة: عزة صبحي، دار الشروق القاهرة، ط1، 1999، ص 59.

في ظل العولمة لدى الناس الأكثر حظوة ذو ثمن يدفعه الناس الأكثر حرمانا إذ يبلغ من الموتى كل يومين ما يساوي موتى القنبلة الذرية التي ألقيت على هيروشيما في نهاية الحرب العالمية الثانية ويستمر فقدان التوازن هذا في التفاقم في ظل العولمة ففي تقرير لأمم المتحدة أن 358 شخصا من كبار الأثرياء في العالم يساوي حجم مصادر ثروتهم النقدية حجم المصادر التي يعيش منها ملياران وثلاث مئة مليون شخص من فقراء العالم وأن الغنى والثروة ارتفعا بنسبة ستين بالمئة في الولايات المتحدة الأمريكية بين عام 1975م 1995م غير أن المستفيدين من هذا الارتفاع الكبير في الغنى والثروة لا يتجاوز عددهم نسبة واحد بالمئة من الشعب الأمريكي[1] وبالتالي فإن عدم المساواة وتفاقم التفاوت في توزيع الثروة حسب غارودي نجده كذلك حتى على صعيد المجتمعات الغنية ذاتها مثلما يؤكد ذلك في قوله "إن هذا النظام بقواعد لعبتة يزيد من عدم المساواة حتى في البلاد الغنية"[2] ففي عام 1991م كان 5 % في أمريكا يمتلكون الثروة القومية و35 مليون يعيشون تحت خط فقر، وهناك طفل من بين كل ثمانية أطفال يعاني من الجوع، وفي فرنسا 6% من السكان يمتلكون 60% من الثروة، و94 % يقتسمون الباقي، وهو أقل من النصف، وهناك أقلية من20% تمتلك 82 من المنتج العالمي 20%الأكثر فقرا يمتلكون 1.4 % 81.2 من التجارة العالمية 94.6%من كل القروض التجارية، 80.6% من المخدرات، 80.5% من الاستثمارات 94% من بحوث التنمية[3].

كما أن القول بأن النمو الاقتصادي في ظل العولمة يسمح بتجاوز الأزمات ليس صحيحا حسب غارودي بل هو من يخلقها وهو من خلق سوق الغاب الحيواني من جديد، وهو في هذا الغاب يفترس الأقوياء الضعفاء، فالمنشآت الكبرى تسحق الصغرى، والمعدمون هم تحت رحمة المالكين والعمالقة الضواري في المجتمعات المتعددة الجنسيات يستولون على العالم ويفلتون من كل رقابة للشعوب، والنتيجة من كل هذا هي عولمة الفقر، واستقطاب جديد من الشمال الغني المسيطر على للجنوب الفقير، وتبني القوى الدولية للقضايا التي تريد ما دامت مصلحتها تقتضي ذلك، ونتجاهل قضايا أساسية لعدم وجود

[1].روجي غارودي: الإسلام، ترجمة: وجيه أسعد، دار عطية للنشر، بالجزائر، ط2، 2001، ص 17.

[2].محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، ص 140س.

[3].روجي غارودي: كيف نضع المستقبل؟، ص 26.

مصلحة لها[1] مستغلة في ذلك المؤسسات التي تقوم عليها وحدانية السوق أو بالأحرى السلطة المدنية لسادة العالم بالولايات المتحدة الأمريكية وتابعيها والمتواطئين معها[2]، كمنظمة التجارية العالمية، التي تتحكم في الاقتصاد العالمي بتحكمها في 90% من حركة التجارة العالمية والدول في العالم الثالث ملزمة بالدخول في اتفاقيات الجات والتسليم بها وفتح أسواقها أمام منتجات وسلع الدول الغنية الأمر الذي يحطم اقتصاديات هذه الدول [3]ولتبرير هذا الدمج بنظام السوق العالمية الخاضعة للهيمنة الأمريكية ترسخ إيديولوجية وسائل الإعلام فكرة "الضرورة " وكأن الاقتصاد علم الأشياء وليس تنظيما إراديا للناس إنها تحاول مثلا أن توهم أنه ليس خيار لل"جات" سوى الانطواء القومي المؤمن بحماية السوق من المنافسة الخارجية وهو انطواء يقود إلى العزلة والاختناق حيث يقول غارودي"**إن الولايات المتحدة التي تتطلب من البلاد الأخرى الخلل الكلي لحياتها الاقتصادية حتى لا تبدي أي عاتق في وجه توسعها تواصل وحدها ممارسة نزعة الحماية الجمركية الوحشية**"[4]

ولهذا فإن بلدان المركز التي تدير عولمة الاقتصاد وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، تجني المكاسب الطائلة بفضل تبعية "بلدان التخوم" لها والترويج لضرورة الاندماج فيها، أو الإدعاء بحتمية ذلك على الأقل من الجانب الاقتصادي فإنهم يدللون على اتفاقيات الجات باعتبارها المهيمنة على التجارة العالمية ومن ثم على اقتصاديات العالم وهذه الاتفاقيات هي اليد الطولى للعولمة فالدول الصناعية التي أنشأت "الجات" كان هدفها في الأساس مصالحها ومنتجاتها والشركات التي تنطلق من أرضها والخاسر الأكبر من كل ذلك هو الدول النامية وخاصة إفريقيا وبالقطع العالمان العربي والإسلامي[5]

---

[1].صالح الخراشي: العولمة ، ص 19.

[2].روجي غارودي: نحو حرب دينية، ترجمة: صباح الجعيم، دار عطية للنشر، بيروت، ط1، 1996، ص 74.

[3].صالح الخراشي: العولمة، ص 20.

[4].روجي غارودي: نحو حرب دينية، ص 84.

[5].صالح الخراشي: العولمة، ص 21،.

اللبيرالية: الحرية الإقتصادية والسياسية القائمة على عدم تدخل الحكومة ظهر بفرنسا سنة 1819م.

2. العولمة نهاية السياسة وتزييف الديمقراطية:

إذا كانت السياسة تعني تدبير شؤون الدولة فإن شؤون الدولة تبتلعها العولمة لأن أول ما تعنيه العولمة هو رفع الحواجز والحدود أمام الشركات والمؤسسات والشبكات الدولية الإقتصادية منها والإعلامية لتمارس سلطتها بوسائلها الخاصة ولتحل محل الدول في كل الميادين وهكذا تتقلص شؤون الدولة وبهذا التقلص ينحسر مجال السياسة خاصة السياسة الخارجية التي تتولاها بصورة مباشرة ما يسمى بالمجتمع الدولي وعلى رأسها مجلس الأمن، هذا فضلا عن التأثير الذي تمارسه المؤسسات الاقتصادية العالمية مثل صندوق النقد الدولي والبنك العالمي حيث كانت السياسة تمارس من خلال النقاش والاختلاف والاتفاق حول شؤون الدولة بوجود بعض الأحزاب التي تتميز بتنوع برامجها باختلافها وتناقضها الشيء الذي يفسح للممارسة السياسية مجال أوسع وأرحب أما اليوم فالعولمة تفرض طريق واحد وفكرا وحيدا يتمثل في الليبرالية الديمقراطية ولا شيء غير الليبرالية[1]

وهذا ما أكده روجي غارودي الذي يعتبر أن العولمة تحتاج إلى السيطرة على الدول الوطنية وإخضاع قوانينها لحركتها وحريتها في العمل تؤدي العولمة إلى حرمان الدول من حق السيادة المطلقة وصولا إلى مفهوم جديد للسيادة يركز على العالم أجمع بصفة الوحدة السياسية التي تحل محل الدول التقليدية المعتادة حيث يقول غارودي"**إن التيار المهيمن في صفوف الاقتصاديين الرسميين والسياسيين، هو الدفاع عن الليبرالية بدون حدود، والداعي إلى اختفاء الدولة أمام السلطة المطلقة للسوق وحتى لا يبقى أي عائق أمام الاحتلال الاقتصادي**"[2]

فغارودي يؤكد على الدور الذي تلعبه الليبرالية الديمقراطية في تغييب سيادة الدولة باسم العولمة باعتبار أن الديمقراطية تمثل أهم مظهر من مظاهر العولمة في جانبها السياسي والتي تقوم على حرية التعبير كحق لجميع الموطنين والذي يتراوح بين التعبير بالقلم واللسان والصحافة وغيرها وبين التعبير بالاقتراع

[1].محمد عابد الجابري: قضايا الفكر المعاصر، ص 151

[2].سيار الجميل: العولمة والمستقبل، إستراتيجية تفكير، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 32.

على تنصيب الحاكمين أو اقالتهم وعلى ما يسنونه من قوانيين ...الخ[1]، هذه الديمقراطية التي اجتاحت أغلب شعوب ومجتمعات المعمورة في ظل العولمة، يعتبرها غارودي ديمقراطية مدلسة وشكلية وزائفة فمن يمارس السلطة فعليا ليس هو الشعب وحتى وان كانت هذه الديمقراطية الليبرالية تعطي لكل مواطن الحق في ممارسة السلطة نظريا، فإنها عمليا لا تسمح له بممارسة هذا الحق طالما أنه لا يملك الإمكانيات لممارسة هذا الحق والمتمثلة في وسائل الإعلام والمال وغيرها يقول غارودي في هذا الصدد"**كل ديمقراطية قائمة على الدفاع عن فرد مجرد دون أن تأخذ في حسبانها قدرته الحقيقية لا يمكن أن تؤدي إلا إلى السوق (سوق العمل وسوق التجارة)** "[2]

حيث يعود بنا غارودي إلى بدايات الديمقراطية ليكشف لنا عن زيفها وتدليسها فيتوقف عند نموذج الديمقراطية الأثينية والذي يعده البعض النموذج الأمثل للديمقراطية فقد قامت هذه الديمقراطية على مبدأ التمييز بين المواطنين وغير المواطنين وأعطت للأول الحق في الإنتخاب فحرمت الثاني أو الآخر منه، فهل يمكن طبقا لهذا المبدأ أن نقول بأن هناك ديمقراطية أم حكم الشعب نفسه بنفسه؟ فيجيب غارودي قائلا: "**إنه في إطار هذه الديمقراطية الأثينية في قمة ازدهارها (زمن بركليس في القرن الخامس قبل الميلاد) هناك 20 ألف مواطن حر يشكلون الشعب الذي يمتلك حق الانتخاب ومنه 110 ألاف عبيد ليس لهم أي حق، فالاسم الحقيقي لهذه الديمقراطية هو حكم نخبوي عبودي**[3]"ومنذ ذلك الوقت لم يكف الاستخدام الكاذب لكلمة الديمقراطية عن السيادة والخصوص في ظل العولمة، وقد أتى غارودي بعدة أمثلة وشواهد أثبت من خلالها زيف الديمقراطية، منها مثلا الديمقراطية الأمريكية التي تميز البيض عن السود[4]، حيث يؤكد برتراند راسل بأن الذين وضعوا الدستور الأمريكي كانوا من أصحاب الملكية الخاصة، أي أن دوافعهم كانت اقتصادية[5]، ومن هنا فإن غارودي

[1].محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، ص 150.

[2].روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 125.

[3].المصدر نفسه: ص 187.

[4].المصدر نفسه، ص 127.

[5].الشريف طوطاو: الإنسان في فلسفة رجاء غارودي، ص 373.

يرى بأن هذه الديمقراطية هي ديمقراطية شكلية جوفاء، إنها ديمقراطية الشعارات يستفيد منها أصحاب المال، وبالتالي فإن من يملك الإمكانيات المادية هو من يصل إلى السلطة، فهم يصنعون مصالحهم الخاصة قبل مصالح الشعب كما يقومون بدعم بعض الأفراد والأنظمة حتى ولو كانت دكتاتورية مقابل الحفاظ على مصالحهم، مثلما يؤكد ذلك حسن حنفي بقوله "**في تاريخنا المعاصر كانت الولايات المتحدة أول من أيد النظم الدكتاتوري في كل بلدان العالم الثالث ...عسكرية أو دينية أو مدنية مادامت تنفد مصالحها وتأمر بأمرها دون حساب لمصالح الشعوب فإذا حاولت هذه النظم الخروج على الطاعة تعرضت للعقاب** "[1]، ولهذا فإن الولايات المتحدة تعمل جاهدة وبشتى الطرق والوسائل كالدعم المالي والأسلحة والفيتو لنشر الديمقراطية السياسية التي تستجيب لطموحها وتحقق أهدافها وتصون مصالحها فتتخذ منها وسيلة لفرض هيمنتها على العالم باسم الشرعية الدولية، ولذلك فهي تتدخل لتفرض قوانين وقرارات الأمم المتحدة في مكان و تتغاضى عن تنفيذ هذه القوانين في مكان آخر، وفق ما تتطلبه مصالحها، حيث تحكمت الشركات المتعددة الجنسيات في صنع القرار السياسي وهناك أكثر من 200 شركة متعددة الجنسيات هي التي تصنع القرار السياسي، فظهرت سياسة (**الكيل بمكيالين**)حيث يكيل النظام العالمي الجديد بالمكيالين أين يطبق قرارات الأمم المتحدة بحذافيرها في مكان، ويتجاهل تماما القرارات الدولية في مكان آخر [2]، والذي نشاهده اليوم في ظل التبشير بالعولمة دولا تفككت كما هو الحال في أفغانستان والصومال والكونغو الديمقراطية ومذابح ضد الإنسانية ارتكبت دون تحقيق دولي كما حدث في البوسنة والهرسك، دون أن تحرك هذه القوى المهيمنة ساكنا[3]، فالقوى الدولية إذن تتبنى فقط القضايا التي تقضي من ورائها مصلحتها، وتتجاهل قضايا أساسية لعدم وجود مصلحة لها[4].

---

[1]. الشريف طوطاو: الإنسان في فلسفة رجاء غاوردي، ص 375.

[2].صالح الخراشي: العولمة، ص 16.

[3].المرجع نفسه، ص 17.

[4].المرجع نفسه، ص 19.

ومن مظاهر تدليس الديمقراطية الليبرالية وزيفها إضافة لما سبق التمويه على حكم الحزب الواحد، سواء تعلق الأمر بالانتخابات في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي فرنسا، أو في دول أوربية أخرى، فالاختلاف بين الأحزاب المتنافسة سواء على مستوى منطوق الخطاب أو على مستوى فحواه، يكاد يكون منعدم وذلك إلى درجة أن الدعاية لهذا الحزب أو ذاك لم تعد تجد ما تركز عليه سوى بعض الأمور التي لا علاقة لها أصلا بالسياسة[1].

يقول غارودي"**إن الولايات المتحدة الأمريكية هي نموذج للتمويه على حكم الحزب الواحد، حيث تقدم للجمهور نوعين رسميين ديمقراطي أو جمهوري مكونة بالفعل حزبا واحد لرأس المال وفرقا مختلفة يتقاسمون الغنائم (أي الوظائف القيادية) حينما يحوزون النصر انهم يساعدون بنفس القوة ديكتاتوريات أمريكا الأخرى، ويصوتون بنفس الإجماع على القروض لإسرائيل، وبنفس الفيتو على أي جزاءات ضد انتهاكها لقرارات الأمم المتحدة أو نفس الاعتداءات ضد أي شخص يزعم معارضة سيطرتهم العالمية ويتحدى المقاطعة التي يفرضونها**"[2] إذن فهذه الديمقراطية لا تمثل عقبة في مواجهة الديكتاتورية، بل تؤدي إليها في نهاية المطاف، والشيء نفسه تقريبا نلاحظه في عالمنا الثالث المسكين حيث تبتلع الدولة، دولة الفرد أو دولة الحزب، المجال السياسي كله، وبما أن العولمة تبتلع بدورها هذه الدولة نفسها فهي تبتلع في الوقت نفسه المجال السياسي ذاته، وتبقى التعددية الحزبية إن وجدت بدون لون ولا طعم[3]، ما دامت العولمة تفرض طريقا واحدا وفكرا وحيدا يتمثل في الديمقراطية الليبرالية.

كما أن الديمقراطية الليبرالية التي تزعم الدفاع عن حرية الفرد، إنما تقدم في الحقيقة زعما كاذبا، لأن الفرد المقصود هنا هو الفرد البرجوازي صاحب الامتيازات المالية وبالتالي فهي تريد الحفاظ على هذه الامتيازات وتنميتها ولا شك أن هذا النمو يتم على حساب حقوق الأخريين ومصالحهم، ولذلك نجد الهوة آخذة في الاتساع بين من يملك ومن لا يملك بين الأغنياء والفقراء سواء

[1].محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، ص 151.

[2].روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 126.

[3].محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، ص 152.

على المستوى العالمي أو على المستوى الوطني[1]، وهكذا يتضح أن الديمقراطية السياسية الليبرالية ليست إلا الشكل الذي يمارس فيه رأس المال سلطته، فليس هناك حكم للشعب، بل حكم الأغنياء، يقول غارودي مؤكدا على ذلك:"**إن العائق الرئيسي اليوم هو تظليل الليبرالية الاقتصادية التي تزعم أنها متطابقة مع الحرية الإنسانية في حين أنها تقضيها، أنها حرية الأغنى والأقوى في افتراس الأفقر والأضعف باسم الليبرالية التي تخلط بالحرية ترتكب كل يوم أسوا الإبتزازات....هذا النوع من الحرية ما يريده قادة الولايات المتحدة أن يمدوه على الكوكب كله**"[2].

إن كل هذا وذاك نجده باسم العولمة التي تحمل شعار حرية الإنسان لتتحول بذلك إلى نظام تنتهك فيه حرية الإنسان، وبهذا فقد تحولت الديمقراطية إلى جهاز للقمع والتسلط والاستبداد المقنع بقناع هذه الحرية، وبدل أن تكون الدولة وسيلة والإنسان غاية، أصبح الإنسان وسيلة والدولة غاية، وبالتالي فإن العولمة في جانبها السياسي قد أحدثت هوة عميقة وخللا كبيرا في المنظومة السياسية العالمية جعلت من القرن الواحد والعشرين يسير في متاهات الفوضى والتطرف والإرهاب.

3. العولمة ثقافة اللامعنى:

إذا كانت الأخطار السياسية والاقتصادية لظاهرة العولمة، قد أخذت تظهر بصورة واضحة في هيمنة الدول الصناعية والشركات المتعددة الجنسيات توجهات دول الجنوب السياسية والاقتصادية فإن الخطر الأكبر التي تمثله هذه الظاهرة ينسحب على الجوانب الفكرية والثقافية، فالدول الكبرى تريد أن تفرض ثقافتها وأنماطها العسكرية على دول العالم الثالث بتعميم النموذج الغربي في العالم[3] وإلغاء ثقافة الأخر، ورفض كل تنوع بمعنى أنها تسعى في ظل العولمة إلى بسط هيمنتها الإمبريالية وسيطرتها على مختلف الشعوب والثقافات وهذا ما أكده غارودي بقوله"**إننا لا نطلق كلمة عولمة على حركة تؤدي إلى وحدة متآلفة الأنغام للعالم، عن طريق اشتراك كل الثقافات ولكن بالعكس على انقسام يتنامى**

[1].طوطاو الشريف: الإنسان في فلسفة رجاء غاوردي، ص 376.

[2]. طوطاو الشريف: الإنسان في فلسفة رجاء غاوردي، ص 377.

[3].صالح الخراشي: العولمة، ص 28.

بين الشمال والجنوب نابع من وحدة إمبريالية وطبقية....انقسام يدمر تنوع هذه الحضارات ومنتجاتها لفرض لاثقافة الراغبين في التحكم في الكوكب "[1] خاصة في ظل توحيد السوق العالمية بفضل العولمة، وهكذا ستصبح السلع الاستهلاكية التي تمثل مختلف أذواق الثقافية الغربية منتشرة في كل مناطق العالم من أمريكا إلى الصين إلى جنوب إفريقيا وغيرها، سواء المشروبات المتمثلة في الكوكا كولا والبيبسي أو مطاعم المكدونالد...الخ، وغيرها من المنتجات إضافتا إلى الإعلانات الإشهارية المروجة لهذه السلع التي أصبحت موجودة في مختلف القنوات التلفزيونية بهدف نشر ثقافة الغرب الاستهلاكية حيث صار الإنسان في ظل سلطة رأس المال واقعا في فخ لا يستطيع الفكاك منه، بعد تبليهه وهو فخ الاستهلاك.

يقول غارودي"**فليست القضية اليوم أن ننتج لنستطيع إشباع حاجاتنا بل إنهم على العكس يقنعوننا بأن نستهلك ونبذر حتى نستطيع أن ننتج، وكل شيء يجري كما لو كنا خاضعين لآلة تنتج بضائع وتخلق أسواقا وتصنع أو تكيف المستهلكين لإشباع حاجات هذه الآلة**"[2]

فالإنسان هنا يصبح أسير الأشياء التي صنعها بيده ليصل إلى حد التقديس والعبادة التي تفرضها عليه وسائل الإعلام، وبذلك فالعولمة تختزل القيم الأخلاقية والحضارية وتعتبر كل هوية شخصية ثقافية فكرية أو دينية شيئا خاصا فرديا للغاية لا يتداخل مع سير النظام.

إذن فالغالبية العظمى بتأثير من هذا العولمة قد مات عندهم الرب وهم لا يعلمون لأن الإنسان استغنى عن أبعاده الربانية بقول غارودي"**إنها مشروع إمبريالي لتسوية أو إلغاء الثقافية والإيمان لدى الشعوب من أجل أن تفرض عليهم دولارات الولايات المتحدة والاتفاقية واللامعنى لدين لا يجرؤ على التلفظ باسمه، وحدانية السوق التي لن تكون فقط نهاية التاريخ وإنما موت الإنسان والإله الذي فيه**"[3]

[1].روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 20.

[2].طوطاو الشريف: الإنسان في فلسفة غارودي، ص 340.

[3].روجي غارودي: حفار القبور، ص 77.

أما الإعلام في ظل العولمة فقد أصبح سوق ضخمة أكبر أتساعا من سوق الصناعة والمال، حيث أصبحت الحقيقة سلعة تباع وتشتري ويتم تكيفها طبقا للهدف المطلوب يعتمد الإعلام من الآن فصاعدا على دعم الإعلان الذي يتحكم في تمويل البرامج واختيار مقدميها حيت تباع الحقائق مثل المنتجات الأخرى، والهدف الأساسي من هذا هو كيفية إعداد شعب إعدادا جيدا للعبودية من اليمين أو من اليسار، عن طريق الشاشة الصغيرة وهو يبتسم في سعادة وغفلة، حيث يقول غارودي"**إذا كان من السهل حكم الشعب الجاهل، فما أسهل ذلك عن طريق التلفزيون**"[1]، خاصة في ظل سيطرة الولايات المتحدة على الإعلام العالمي من مؤسسات احتكارية إعلامية وسلاسل إعلامية تملك كل الوسائل التقنية من أقمار صناعية وشبكات اتصالات حولت العالم إلى قرية صغيرة متواصلة، ووظيفة الإعلام الأمريكي وفق هذا هي تسلية وإلهاء وتعليم....وترسيخ القيم والمفاهيم والمعتقدات وأنماط السلوك الأمريكي على الأخريين ولتحقيق ذلك صارت ميزانية الإعلام موازية لميزانية الدفاع في بعض الدول على قرار الولايات المتحدة الأمريكية[2]،كونها تتحكم في الخبر والواقعة، وتقدم الصورة كما تقتضي مصلحتها، حيث يقدم غارودي بعض الأمثلة والحقائق على ذلك منها ما وقع للصومال باعتبارها تقع في موقع ممتاز من الناحية الإستراتيجية على مخرج البحر الأحمر على مقربة نسبية من شبه الجزيرة العربية أي الطريق الأكثر استخداما من حاملات النفط التي تسير بحذاء الساحل، وقد أقامت بها الولايات المتحدة مطارين ضخمين كما أقامت محطة أرضية لمراقبة سير أقمارها الصناعية، ومن أجل هذه الأسباب جميعا وبلا شك كانت المجاعة التي يشكو منها السكان البائسون موضوعا للكثير من الريبورتاجات التلفزيونية، وهكذا هيئ الرأي العام للتدخل العسكري والإنساني الحاشد، وقد جرى بتوقيف لا مثيل له حيث نال الموافقة بفضل الصورة، إن مختارات من هذا النمط جعلت من الولايات المتحدة والدول المكملة لها في الصومال محسنة إلى الإنسانية في حين أن المؤن التي حملت والتي وزعت أمام مئة آلة مصورة، لم تكن تمثل سوى 10%مما كانت توزعه كل يوم منظمات إنسانية مستورة[3].

[1].روجي غارودي: حفار القبور، ص 79.

[2].صالح الخراشي: العولمة، ص 35.

[3].روجي غارودي: نحو حرب دينية، ص 77.

المبحث الثالث: قراءة غارودي لأطروحتي نهاية التاريخ وصدام الحضارات.

1. قراءة غارودي للأطروحة نهاية التاريخ :

إن الخطاب الذي جاء بعد انهيار الإتحاد السوفياتي وانتصار الرأسمالية ما هو إلا تتويج وإعلان عن بروز خطاب يسميه محمد عابد الجابري بالوحدانية في كل الميادين وحتى في مجال السياسة بل لقد أصبح الرأي الأمريكي يمثل الرأي الوحيد ذلك لدرجة أن الرئيس جورج بوش لم يتردد في رفع شعار **"من ليس معنا فهو ضدنا"**[1]

وبالتالي فإن مقولة نهاية التاريخ لفوكوياما ما هي إلا غطاء إيديولوجي يروج له النظام العالمي الجديد الممجد للمركزية والمكرس للأحادية والأمركة والهيمنة خاصة في ظل غياب طرف آخر في الصراع الإيديولوجي، لذا فمقولة فوكوياما هذه في الحقيقة لم تأتي للحديث عن تراجع القوة العسكرية والاقتصادية للإتحاد السوفياتي بقدر ما ركزت على نهاية الإيديولوجيات وإزاحة الشيوعية بعد حرب باردة وتطاحن عسكري واقتصادي وصراع إيديولوجي . قبل كل شيء . بين القطبيين الرأسمالي والاشتراكي[2]، وبالتالي فلن تكون . حسب مقولة نهاية العالم . حاجة إلى اجتهادات إيديولوجية أخرى تطرح مقولات قد تؤدي لحدوث خلافات أو صراعات بين القوى العالمية فكان أن أوصد أبواب التاريخ وأغلقها مكتفيا بالليبرالية الأمريكية لقيادة العالم سياسيا واقتصاديا وعسكريا، غير أن فوكوياما من خلال مقولته هذه نجده يتوغل في إبراز دور الامبريالية الرأسمالية في التمهيد لانتصار الليبرالية واتجاه بوصلة التاريخ نحو النهاية في مقابل إغفال حلقات مهمة في صيرورة التاريخ الإنساني، قد سلط عليه ألسنة النقاد والدارسين في فلسفة التاريخ ولعل من يهمنا من بين هؤلاء الدارسين الفيلسوف روجي غارودي الذي انتقد أطروحة نهاية التاريخ بشدة، حيث يعتبرها نموذج لأيديولوجية تبرير الفوضى العالمية الجديدة فنهاية التاريخ التي قال بها فوكوياما هي نهاية القيم الإنسانية ونهاية الفكر ونهاية الضمائر أين تحول السوق إلى ديانة عندما أصبح المنظم الوحيد

---

[1].شبشوب مريم: الأسس الفلسفية لفكرة العولمة الأمريكية، ص 182.

[2].محمد بكاي : مقولة نهاية التاريخ عند فرانسيس فوكوياما، ضمن كتاب جماعي، جدل البداية والنهاية والعود الدائم، إبن نديم للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2012، ص 492.

للعلاقات الاجتماعية والشخصية والقومية والمصدر الوحيد للسلطة والمراتب الاجتماعية، الأمر الذي سوف يقود إلى نهاية الإنسان إذا ما وصل هذا الانحدار منتهاه[1]، ففوكوياما من خلال فلسفته هذه لم يجعل أي مكان للحضارات غير الغربية لكي يقيم الدليل على أن نظام الديمقراطية الليبرالية يمكن له وحده أن يتضمن الحالة النهائية للتطور أي نهاية التاريخ، فالعالم إذن في فلسفة التاريخ عند فوكوياما هو مثل الأرض قبل جاليلو و كوبرنيك، الغرب هو المحور وكل الباقي يدور حوله[2]، بمعنى أن التاريخ ينتهي بتحقيق الديمقراطية الليبرالية التي تمكن الغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية من تحقيقها لذا يجب فرضها على العالم وفي هذا رفض واضح وإقصاء للأخر اللاغربي ولا مكان إذن لحضارات وثقافات الشعوب غير الغربية ضمن هذا التاريخ وهي نظرة تريد حشر العالم تحت مظلة واحد غير مراعية للتعددات الثقافية والاثنية والإيديولوجية وبهذا فإنه لا يمكن لأية قوة مهيمنة أن تحافظ على قوتها للأبد فالغرب اليوم يشهد أزمة اقتصادية ومالية خانقة قد تؤدي إلى انهيار قواها مثلما حدث للمارد السوفيتي[3]، وبالتالي فإن ما ذهب إليه فوكاياما يبقى مجرد دراسة نسبية للتاريخ وليس ذلك هو التاريخ نفسه.

كما انتقد غارودي نظرة فوكاياما للحرية التي تكلم عنها في كتابه نهاية التاريخ وخاتم البشر في الفصل المعنون ب **أحرار وغير متساوين** حيث أخفى الأساس وهو حرية الغابة التي تستبعد المساواة بين الأقوياء والضعفاء[4]، عندما اعتبر فوكوياما أن البشر سيثورون على فكرة أنهم أعضاء متشابهون في دولة عامة ومتجانسة كل كالآخر أينما سرنا في أنحاء المعمورة[5]. وفي هذا تغليط وتشويه لصورة الحرية التي لا تقوم على المساواة إنها حرية القوي التي لا حق للضعيف فيها بل لا وجود له أصلا فيها وهذه الحرية هي التي تعكس قانون الغابة.

[1].روجي غارودي: الولايات المتحدة ، طليعة الإنحطاط، ترجمة: مروان حموي، دار الكتابة، دمشق سوريا، ط1، 1998، ص 18.

[2].روجي غارودي: حفار القبور، ص 87.

[3].محمد بكاي: مقولة نهاية التاريخ عند فرانسيس فوكوياما، ص 495.

[4].روجي غارودي: حفار القبور، ص 88.

[5].فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص 274.

كما ينتقد غارودي كذلك مرجعية فوكوياما الفكرية من خلال نظريته هذه حيث أخذ عن أفلاطون فكرة رغبات العقل، التي عبر عنها بالشعوب المادية والتي تمثل في الحقيقة العقل التقني و le thumos والتي يمكن أن ترجمتها في سياق كتابه بالرغبة في القوة، وهو عند أفلاطون طبقة المحاربين حراس نظام، وبالتالي فإن فوكوياما من أجل ديمقراطية ليبرالية قد وضع اسبرطة أكثر مالكيات الطبقية عنفا والمرجع الثاني الذي أخذ عنه فوكوياما هو ميكيافيللي الذي حرر السياسة من كل القيم السياسية [1] أما هيجل الذي جعل التاريخ يبدأ بكفاح حتى الموت من أجل المعرفة فقد أخذ عنه السند الميتافيزيقي لسيطرة السيد على العبد، وأخيرا نيشة الذي رأى فيه فوكوياما إثباتا للأسياد الذين لا يخشون المخاطرة بحياتهم من أجل السيطرة.

وهذا يعني أن أبطال فوكوياما المفضلون، مكللون بالغرابة النبيلة، أي هؤلاء الذين نجو في الإرتقاء فوق الآخرين: فورد، كارينجي، بوش، يلتسين...وفاته أن يذكر كذلك طرازان، جيمس بوند، ورامبو[2]

إذن ففوكوياما ينحاز انحيازا واضحا إلى المركزية الغربية التي تنظر إلى الديمقراطية الليبرالية على أنها الطريق الوحيد الذي يجب سلوكه لدخول التاريخ الكوني، معتبرا أن كل المراحل السابقة على الديمقراطية الليبرالية مراحل ما قبل التاريخ ،وبأن وصول المجتمعات البشرية إلى هذه المرحلة من التاريخ الكوني ينتهي التاريخ[3]، وهو بذلك يلغي الاختلاف ويرفض التعدد ولا يلقي بالا للمهمش أو الثانوي العرضي، وكل همه هو ما اتصل بالمركز فقط، فهذه الدعوة إذن هي دعوة متجددة تتدثر بأثواب الشواهد التي تفند هذه الأطروحة وتثبت عدم توقف التاريخ، وتؤكد على المغالطات الكثيرة التي وقع فيها فوكوياما منها الأحداث الملتهبة التي شهدها العالم في بدايات الألفية الثالثة بدءا بأحداث 11 سبتمبر وصولا إلى ثورات الشعوب العربية التي انفجرت في بدايات 2011.

[1].روجي غارودي: حفار القبور، ص 86.

[2].المصدر نفسه، ص 87.

[3].محمد بكاي: مقولة نهاية التاريخ عند فرانسيس فوكوياما، ص 499.

2. قراءة غارودي لأطروحة صدام الحضارات:

لقد وجهت انتقادات لاذعة لنظرية صاموئيل هنتغتون لأنها أخذت الطابع الحقيقي للصراع بين الحضارات، وتلك النظرة الاستعلائية التي سيطرت عليها، عندما وضعت الحضارة الغربية فوق الحضارات جميعا، لذلك لا يمكن أن تكون غاية النظرية إلا تبرير لسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على سياسة العالم والتحذير بضرورة سيطرة الغرب على العالم والقضاء على الحضارة الإسلامية، لذا فقد تصدى الكثير من المفكرين لهذه النظرية العنصرية من بينهم الفيلسوف روجي غارودي الذي يرى أن نظرة هنتنغتون كانت أكثر حذاقة، فهي توضح العقبات أمام تحقيق مشروع السيطرة الأمريكية على العالم، حيث تضمن كتاب صدام الحضارات لصمويل هنتنغتون، الدور الجديد للسياسة الإسرائيلية التي تخص ليس فقط الشرق الأوسط، بل سياسة الهيمنة العالمية للولايات المتحدة [1]، ومن خلاله يظهر الارتباط بين قادة أمريكا وسادة دولة إسرائيل ضد هدف واحد مشترك هو الوقوف في وجه الإسلام وآسيا، لما تشكلاه من خطر يعيق مشروع الهيمنة والسيطرة الأمريكية على العالم، وهذا التحالف بين السياستين الإسرائيلية والأمريكية ستكون عواقبه وخيمة، على العالم بأسره لأنه سيقود إلى حرب عالمية ثالثة، ما جعل غارودي يوجه نداءه للعالم للإشعار بالخطر الذي يتهددنا جميع وبهذا تتضح جذور أطروحة صدام الحضارات للمنظر صمويل هنتنغتون أو كما يسميه غارودي بالمفكر البانتاغون الذي جعل من نفسه عراب هذا النداء إلى الموت بدعوته إلى صدام الحضارات[2]، فتبدو على حقيقتها التي هي في الواقع ما هي إلى مخطط لمؤامرة أمريكية صهيونية ضد العالم، وعلى وجه الدقة ضد الإسلام وآسيا وعلى هذا سيكون القرن الحادي والعشرين مسرحا للحروب الدينية وسيكون أسوء من سابقه إن استمر منفذي هذا المشروع وسار العالم نحو مصيره بحسب ما خطط له من قبل الأطراف المهيمنة عليه.

هذه الحرب العالمية الثالثة التي تكلم عنها غارودي إذا انفجرت حقيقتا فسوف تكون مختلفة على سابقاتها وسوف تأخذ بذلك شكل جديد فلن تكون نتيجة تنافس الأوربيين فيما بينهم إنما تكون مجابهة بين حضارتين حضارة المركز (الغرب) وحضارة المحيط (بلدان الاستعمار القديم) ولو أن المشكلة

[1].روجي غارودي: محاكمة الصهيونة، ترجمة: عادل المعلم، دار الشروق، ط2، 1999، ص 171.

[2].روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 37.

طرحت بشكل سيء إلا أنها مشكلة حقيقة لأن الولايات المتحدة الأمريكية بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي كان لزاما عليها من إيجاد عدو وبديل، أو منافسا جديدا، فاستبدلت الشيطان السوفياتي، بالشيطان الإسلامي وحلفائه المحتملين ممن نطلق عليهم اسم العالم الثالث، وبهذا ستكون الولايات المتحدة مضطرة إلى أن تحطم كل أولئك الذين يريدون الاحتفاظ بنظام آخر من القيم، غير القيم التجارية الذين يدافعون عن هويتهم وعن معنى لحياتهم[1]، وهذا ما يوضحه أكثر غارودي من خلال قوله"**بعد أنهيار الإتحاد السوفياتي كان لا بد من إيجاد بديل يجسد دور الشرير، وإمبراطورية الشر، التي يجب محاربتها في القارات الثلاث فكان الإسلام حتى يكون التهديد العالمي للإرهاب مبرر بالاستمرارية وحتى الإسراع من سباق التسلح وفرص التدخل الاقتصادي أو العسكري في كل أركانا العالم** "[2]

ونظرية صدام الحضارات لصمويل هنتنغتون تمثل الأساس النظري لهذا التوجه الإستراتيجي الجديد، وهذا ما نلمسه من خلال قول هنتنغتون"**سيهيمن صدام الحضارات على السياسة العالمية، خطوط الإختلاف بين الحضارات ستكون خطوط جبهة المستقبل**"[3]

ولهذا نجد هنتنغتون يؤكد على ضرورة الحد من التنمية العسكرية للديانة الكونفوشوسية والإسلامية لضمان التفوق العسكري الأمريكي في الشرق الأقصى وفي جنوب غرب آسيا واستغلال الخلافات والصراعات بين الدول الكونفوشوسية والدول الإسلامية ومساندة الحضارات غير الغربية التي تفضل القيم والمصالح الغربية وعلى الغرب حسب هنتنغتون الحفاظ على القوة الإقتصادية والعسكرية الضرورية كحماية مصالحة في علاقاته مع تلك الحضارات .

ومن بين الأسباب والدوافع لمشروع هنتنغتون يؤكد غارودي نقطة الضعف الإسرائيلية المتمثلة في فقدانها للروح، والمقصود بذلك فقدانها لأي مشروع تعاوني من أجل مستقبل الإنسان، إلى تنمية إنتاجها واستهلاكها من خلال تفوقها بالسلاح، هذا السبب اضطر معه هنتنغتون لأن يقنع أفكاره بتعارض

[1].روجي غارودي: الولايات المتحدة، طليعة الإنحطاط، ص 08.

[2].روجي غارودي: محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، ص 183.

[3].المصدر نفسه، ص 184.

مزعوم بين الحضارة اليهودية المسيحية والتواطؤ الإسلامي الكونفوشيوسي وهو الوريث لأقدم الحضارات في العالم من دجلة إلى سوريا إلى الصين وقد إعتبر توينبي أن النطاقين السوري والأسيوي المركزي هما مركز الحضارة حيث قال"**في سوريا أخذت المسيحية شكلها الذي إنتشرت من خلاله في العالم الهلنستي كله، وفيها بين النهرين، شكلت الأسطورية ومذهب الطبيعية الواحدة وفي الحجاز جنوب سوريا ظهر الإسلام في مكة وفي الحدود الشرقية لشمال الجزيرة العربية ولد المذهب الشيعي** "[1]وبالتالي كان لزاما على الحضارة الغربية التصدي لمثل هذه القيمة الحضارية والدينية والثقافية لهذه الشعوب التي تشكل خطرا وتهديدا على مشاريعها المتمثلة في السيطرة والهيمنة على العالم.

وهناك سبب آخر يكشفه غارودي يتمثل في عرقلة مشروع طريق الحرير، وهو عبارة عن جسر أوربي أسيوي ثم الانطلاق فيه فعليا يوم 12سبتمر 1990 من شأنه إعادة بناء الوحدة الإنسانية في العالم لأنه يقف في وجه الهيمنة الغربية ويعلق عليه أمل كبير لكونه مشروع يحمل أبعاد إنسانية كونية وهذا أما أثبته غارودي بقوله "**إننا بصدد إعطاء 80% من الشعوب العالم اللانامية بسبب تبعيتها أو حصارها بالصحاري الإمكانات لتحقيق نمو إنساني بحت**"[2]

ولأن طريق الحرير الجديد أو كما يطلق عليه غارودي طريق القرن الواحد والعشرين سيقوم حقا بتغيير محور العالم، احتدمت قوى الماضي ضده وجاءت أطروحة هنتنغتون رافضتا لهذا المشروع الإنساني باعتبارها أطروحة تدعو إلى الاختلاف والصراع والصدام بين ثقافات الأمم.

وما يمكن التأكيد عليه من خلال ما سبق هو أن صامويل هنتنغتون المفكر الأمريكي الصهيوني الذي جعل من صراع الحضارات، أو الثقافات منطلقا مبررا للحروب الحديثة للإمبريالية الأمريكية لاستكمال سيطرتها الشاملة على العالم، واعتبر أن المظهر الرئيسي لهذا الصراع هو بين الثقافة الغربية ذات الأصول اليهودية والمسيحية وبين الثقافات العربية الإسلامية وهو جوهر هذه النظرية العنصرية وغيرها التي تتخذها المركزية

[1].روجي غارودي: الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط، ص 10.

[2].روجي غارودي: كيف صنعنا القرن العشرين، ترجمة: ليلى حافظ، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000،ص 181.

الغربية مرجعية فكرية لإستراتيجيتها إتجاه العالم اللاغربي وعلى الخصوص العالم الإسلامي الشيء الذي سيؤدي إلى انتحار الكوكب إن استمر منفذوا هذه المشاريع في بث سمومهم.

الفصل الثالث

المشروع الحضارى البديل عند روجى غارودى

تمهيد:

إذا كان غارودي قد انتقد النموذج الحضاري الغربي الذي بني على مفهوم خاطئ للإنسان كاشفا بذلك عن حقيقته ومقاصده في الميادين المختلفة، وعن المخاطر التي تمثلها هذه الحضارة على الإنسان الغربي المعاصر خصوصا، والإنسان المعاصر عموما مبينا بذلك إستراتيجيته المتمثلة في الإقصاء والاستحواذ والطمس، التي تتجلى في مختلفة عناصر هذا النموذج الحضاري، السياسية منها والاقتصادية وحتى الثقافية والفكرية فإن جهوده لم تتوقف عند حد النقد كما هو الحال لدى البعض من فلاسفة التاريخ ذووا النظرة التشاؤمية، بل إن غارودي قد كرس حياته ونضاله الفكري في البحث عن رؤية بديلة للعالم ذات أبعاد إنسانية توفر للإنسان المناخ الحضاري الملائم للتعبير عن إنسانيته الحقيقية في جميع المجالات والميادين، وهذا المشروع الحضاري هو ما يطلق عليه غارودي بمشروع الأمل الذي دعا من خلاله إلى التكامل والتفاعل والحوار بين الحضارات، بهدف خلق حضارة عالمية مشتركة تساهم فيها كل شعوب العالم بثقافاتها وإبداعاتها، فما هي أبعاد وأسس هذا المشروع الحضاري الذي نادى به غارودي؟ وإلى أي مدى يمكن أن يساهم هذا المشروع في حل مشكلات الإنسان المعاصر سواء كانت اقتصادية، أم سياسية أم دينية أم ثقافية؟

المبحث الأول: مشروع حوار الحضارات ودوره في تأسيس حضارة عالمية.

أولا: مفهوم حوار الحضارات.

قبل الحديث عن مفهوم حوار الحضارات والتفصيل فيه، يجدر بنا أولا أن نعرج على كل من مفهوم الحوار، والحضارة.

أ-مفهوم الحوارDialogue:

لغة: ورد في "تاج العروس"، عن معنى الحوار مايلي، يقال كلمته فأرجع إلى حوارا، وحوارا ومحاورة وحويرا ومحورة، أي جوابا، والاسم من المحاورة الحوير، تقول سمعت حويرهما وحوارهما، وفي حديث سطيح "فلم يجر جوابا" أي لم يرجع ولم يرد، وما جئتني عنه محورة، بضم الحاء، أي ما رجع إلي عنه خبر، وإنه لضعيف الحوار، أي المحاورة.[1] والمحاورة هي المجاوبة ومراجعة النطق والكلام في المخاطبة وقد حاوره، وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم، وهم يتراوحون ويتحاورون، ويفهم من هذا أن الحوار يعني الإجابة والرد لأن كل طرف يتحاور يهتم بالرد على أسئلة الطرف الآخر.[2]

اصطلاحا: لقد رأى طه عب الرحمان في كتابه من أجل المستقبل، أن الحوار هو طريق الوصول إلى الحق، وللحوار طرق شتى لا حد لها لأن الحق هو نفسه، وبذلك فإن الحوار تشرك فيه أطراف متعددة ومختلفة سواء كانوا أفراد أو فئات، حيث أن أحد الأطراف قد ينسحب عن رأيه عند ضعف أدلته أي أن الحوار يسلم بالرأي الآخر، فالحوار يتم بواسطة فك الخلاف بين الناس، فإذا كان الخلاف هو الداء المفرق فالحوار هو الدواء الشافي[3]، فالحوار إذن يسهم في توسيع العقل وتعميق مداركه من خلال انفتاح الفكر بإرادته ونظريته إلى فكر الغير بهدف التحاور، وذلك يقتضي الاعتراف بوجود الآخر.

---

[1] محمد مرتضي الحسيني الزبيدي: تاج العروس، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، اللجنة الفنية بوزارة الإعلام، ج11، الكويت، 1392هـ-1972م، ص107.

[2] المرجع نفسه، ص 108.

[3] طه عبد الرحمان: حوارات من أجل المستقبل، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ص05.

ب–مفهوم الحضارة:

لغة: إن مصطلح الحضارة باللغة الأجنبية هو مرادف كلمة Civilization، وهي مشتقة من كلمة Civitas في اللاتينية بمعنى المدينة، وهي عبارة عن تجمع لمجموعة من الأفراد داخل الدولة، وبالتالي فإن الحضارة لغويا هي مرادف للمدينة. [1]

اصطلاحا: أما الحضارة من الناحية الاصطلاحية فهناك العديد من التعريفات المتنوعة بشأنها، حيث ذهب حسين مؤنس إلى اعتبار الحضارة ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء كان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصود أم غير مقصود، وسواء كانت الثمرة مادية أم معنوية[2]، والحضارة حسبه تكون مرتبطة أشد الارتباط بالتاريخ، فلا يستطيع الإنسان أن يتحدث عن الحضارة حديثا معقولا إلا إذا عرف ماهية التاريخ معرفة معقولة أيضا. [3]

أما المفكر تايلور فيعرف الحضارة في كتابة الموسوم بالحضارة البدائية بأنها "**الكل المعقد الذي يشمل المعارف والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل المؤهلات الأخرى التي تمكن الإنسان من أن يكون عضوا في مجتمع معين**"[4] وفي هذا تركيز كبير من تايلور على المعارف والعقائد والعادات والتقاليد في تشكيل الحضارة.

حوار الحضارات:

من خلال ما سبق يمكن القول أن الحوار في سياقه الحضاري يفضي إلى التعاون بين الكائنات وعليه فالإنسان من منظور حضاري وأنثروبولوجي هو كائن حواري، ومن ثم فإن حوار الحضارات يعبر

[1] جندلي عبد الناصر: العلاقات الحضارية في عالم ما بعد الحرب الباردة، صراع أم حوار، ضمن كتابه التثاقف في من العولمة، إشراف عبد المجيد مرانيا، سرار للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، 2011، ص39.

[2] حسين مؤنس: الحضارة، ص 13.

[3] المرجع السابق، ص 14.

[4] نقلا عن جندلي عبد الناصر: العلاقات الحضارية في عالم ما بعد الحرب الباردة، صراع أم حوار، ص 40.

عن رؤية إسلامية مستوحاة من القرآن الكريم[1]، في قوله سبحانه وتعالى:"**يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**"[2] والتعارف هنا يعني الحوار ذاته، فلا حوار بدون علاقات ولا علاقات بدون تعارف ولا تعارف بدون حوار.

وهكذا، فإن حوار الحضارات يفترض وجود كيانات قادرة على رسم مصيرها والمضي قدما بمسارها التاريخي بمحض إرادتها، متحررة من كل الضغوطات والتأثيرات الخارجية ولن يأتي ذلك إلا بترسيخ مبدأ الاعتراف بالآخر، وطالما أن مفهوم حوار الحضارات حديث الاستعمال في العلاقات الدولية فإن مسألة الاعتراف تتجاوز حدود الاعتراف بالتنظيم السياسي والسلطة السياسية القائمة، ليشمل الآخر أو الهو الحضاري بكل تجلياته ومظاهره السياسية، الاقتصادية، الثقافي والدينية....إلخ. [3]

يحث يقوم مفهوم حوار الحضارات على فرضية أساسية مؤداها أن المميزات الثقافية للشعوب، والأمم تؤثر في العلاقات بين الدول، وإن تكريس التعاون الدولي يشترط توظيف تلك المميزات بحكم الصلة الوثيقة بين السلوكيات السياسية والاقتصادية من جهة والسلوكيات الثقافية من جهة أخرى، فقد كان الدافع من وراء الدعوة إلى حوار الحضارات إرساء معالم ثقافة إنسانية منبثقة من منظومة قيمية مشتركة بين مختلف الشعوب والأمم بغية خلق نظام عالمي جديد أكثر إنسانية ومنظور فكري جديد يقوم على أخلقة العلاقات الدولية[4]، حيث تسود العدالة والمساواة وحقوق الإنسان والديمقراطية جمعاء، وليس وفق صورة الغرب النرجسية من خلال فرضه نشر ديمقراطية على المقاس، أي الديمقراطية الأمريكية، وبالتالي ضرورة الإقرار بالتعددية الثقافية وتنوعها، وعليه فإن أطروحة حوار الحضارات هي دعوة إلى تجنب الصراع الحضاري بين الأمم والشعوب والصدام الثقافي بينها خاصة بين الإسلام والغرب، والدعوة إلى بناء ثقة بين الحضارات بغية التفاعل بينها.

---

[1] نقلا عن جندلي عبد الناصر: العلاقات الحضارية في عالم ما بعد الحرب الباردة، صراع أم حوار ، ص 62.

[2] سورة الحجرات، الآية 13.

[3] جندلي عبد الناصر: العلاقات المغاربية الحضارية في عالم ما بعد الحرب الباردة، صراح أم حوار، ص 62.

[4] المرجع نفسه، ص 63.

ثانيا: جذور نظرية حوار الحضارات.

إن المتصفح للتاريخ يجد أن حوار الحضارات باعتباره متأصلا في الإسلام قد ظهر فعليا وبدأ مع الرسالة المحمدية، التي لها السبق في بعث فكرة الحوار، فالدعوة إلى عقيدة الإسلام وشريعته وقيمه الأخلاقية تأسست على الجدال الحسن والكلمة الطيبة والحوار المقنع[1] وفق قوله عزوجل:"**أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**"[2] ولهذا فقد كانت الحضارة الإسلامية آنذاك حضارة عالمية، ليس لأنها عامة فقط بل لأنها لا تلغي الحضارات والثقافات الأخرى.

فالقرآن الكريم الذي هو مصدر التشريع في الإسلام وهو المقر بصدق كل الرسالات السماوية وعلى دعوة أهلها إلى كلمة سواء، قد فتح الأبواب أمام أتباع النبي محمد على الله عليه وسلم للتعايش مع الشعوب ذوي الحضارات والأديان السماوية والأخذ بمبدأ التعدد والتسامح والاعتراف، ومن ثم فقد كانت عملية الحوار ممكنة بين الأديان لأنها تؤمن بنظرية الفطرة الإنسانية وتوابعها وبما أنها تشكل روح الحضارات فإن الحوار بينها يفسح لحوار حضاري أصيل يمتد إلى مختلف المساحات الحياتية، ويوجه الحوار الحضاري نحو مساحات أكثر إنسانية.

إذن فمبدأ الحوار والتعاون، والتعامل باللين، والجدال معهم بالتي هي أحسن في حدود الأدب والحجة والإقناع، قد كان واضحا جليا في أذهان المسلمين الأوائل منذ بداية الدعوة المحمدية[3]، وهذا ما دلت عليه نفوس القرآن الكريم، وكان منها قول الحق تبارك وتعالى في سورة الأعراف:"**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**".[4]

---

[1] عبد القادر تومي: الفكر العالمي والفكر العولمي، كنوز الحكمة للنشر، الجزائر، 2011، ص 35.

[2] سورة النحل: الآية 125.

[3] المرجع نفسه، ص 34.

[4] سورة الأعراف: الآية 158.

ولكن مع أفول الحضارة الإسلامية التي تحولت إلى حضارة راكدة، وبروز الحضارة الأوروبية[1]، تبقى النزعة الإسلامية تشدد على ضرورة الحوار الحضاري، فكان أول من طرح فكرة حوار الحضارات في زمننا هذا المفكر الفرنسي المسلم روجي غارودي في مؤلفه "من أجل حوار الحضارات" الذي صدر عام 1977م، والذي يمكن وصفه بمثابة مرافعة محكمة في الدفاع عن قضية حوار الحضارات وتميزه بمنطق شديد التماسك، وبخطاب موثق بالشهادات والوقائع والحقائق، وبالنمط الذي يمكن اعتباره من الصورة الفعلية التي تجسد حوار الحضارات، ظهر غارودي في هذا الكتاب أكثر المنظرين والمحمسين لهذه الفكرة التي عرف بها واشتهر بها عالميا[2]، حيث انتقد من خلالها سلوك الغرب في تاريخ علاقته بالأمم والحضارات الأخرى، داعيا الغرب إلى ضرورة إعادة النظر في ذاتيتهم وفي الهو أو الآخر الحضاري من خارج محيطه الغربي والانفتاح عليه، والملفت للانتباه أنه يطالب الغرب بأن يستخلص الدروس والحضارات الأخرى ويتعلم منها[3]، وهذا ما يعبر عنه غارودي بقوله "**إن الحضارات اللاغربية تعلمنا بادئ ذي بدء أن الفرد ليس مركز كل شيء، وأن فضلها الأعظم يرجع إلى أنها تجعلنا نكتشف الأفراد، وكل "الآخر" دون فكرة مبيتة تظهر التنافس والسيطرة...، ومن الواجب أن نتعلم من الحضارات الأخرى، بصورة أساسية المعنى الحقيقي لعلاقة المشاركة الإنسانية التي تجد كل فاعلية ذاته وهي تنهض بعبء من أعباء المجتمع المسؤول**".[4]

أما المرحلة الثالثة فكانت بدايتها سنة 1998م، حينما دعا السيد محمد خاتمي رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية في خطابه الذي ألقاه بالجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثالثة والخمسين، أن تكون سنة 2001 سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات، نذكر بعض ما جاء فيه"أقترح باسم الجمهورية الإسلامية، أن تبادر الأمم المتحدة بخطوة أولى تسمية عام 2001 حوار

[1] جندلي عبد الناصر: العلاقات الحضارية في عالم ما بعد الحرب الباردة، صراع أم حوار، ص 61.

[2] زكي الميلاد: تعارف الحضارات الفكرة الخبرة التأسيس، مجلة الحوار الثقافي، مخبر دوار الحضارات التنوع الثقافي وفلسفة السلم، مستغانم، الجزائر، 2013، ص 06.

[3] جندالي عبد الناصر: العلاقات الحضارية في ما بعد الحرب الباردة، صراع أم حوار، ص 61

[4] روجي غارودي: حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا ، عويدات للنشر، بيروت، لبنان، ط4، 1999، ص 162.

الحضارات على أمل أن يحقق الحوار هذه الخطوة الضرورية الأولى في سبيل العدل والحرية العالمية... إن استقرار الحضارة وتنميتها سواء في نطاق الدولة أو المستوى العالمي هو أمر منوه بالحوار بين مختلف الحضارات والشعوب بما تملكه من أذواق وأفكار ووجهات نظر مختلفة"[1] وبهذا فهو يؤكد على تنوع الثقافة وتعدد الحضارات، والنظر لهذا التنوع والتعدد بوصفه مصدر إثراء واستلهام يبحث على التقدم والتواصل بين الأمم والحضارات وتعزيزا لهذا الاختبار، شرح قرار الأمم المتحدة لحوار الحضارات منطلقا من الإقرار بالانجازات الحضارية المتنوعة للبشر وضرورة بلورة ثقافة تعددية، والقبول بتنوع المخلوقات البشرية[2]، والأخذ بعين الاعتبار أن التعاملات الثنائية بين الحضارات على امتداد التاريخ الإنسان كانت مستمرة على الرغم من وجود الدوافع النابعة من عدم التسامح والنزاع والحروب ومع التأكيد على أهمية التسامح في العلاقات الدولية، والدور الرفيع للحوار بمثابة أداة للوصول إلى التفاهم وإزالة تهديدات السلام وتعزيز التعامل والتبادل بين الحضارات...ومع إعادة التأكيد بأن الانجازات الحضارية تشكل ميراثا مشتركا للبشرية جمعاء وتهيء مصدرا لسمو البشرية وتقدمها، باتجاه مزيد من التفاهم من خلال الحوار البناء بين الحضارات.

هذا التبني من طرف الأمم المتحدة ساهم بصورة فاعلة وكبيرة في تحريك وتعميم مفهوم حوار الحضارات وتحويله إلى مفهوم متحرك في مجال العلاقات الدولية، بطريقة بات يأتي على ذكره في المناسبات والاجتماعات الدولية، حيث عقدت حوله الكثير من الندوات والمؤتمرات التي توزعت في دول العالم المختلفة، بحيث يمكن القول أنه لأول مرة يجري هذا المستوى من الاهتمام العالمي بقضية حوار الحضارات.

وبعد حدث الحادي عشر من سبتمبر 2001 الذي أصاب العالم بهزة عنيفة غيرت من صورته وقلبت معادلاته وتوازناته، وجعلت العالم يعيش أشد حالاته وانفعالاته توترا واضطرابا، وهيمنت عليه مفاهيم العنف والإرهاب والقوة، فأصبح الإنسان وكأنه يعيش صدام حضارات، لفت انتباه العالم مجددا، خاصة العالم العربي والإسلامي إلى مفهوم حوار الحضارات، المفهوم الذي أصبح له واقع فعلي[3]،

[1] نقلا عن لبنى برهوم: جدل الغرب والإسلام، ص 136.

[2] زكي الميلاد: تعارف الحضارات، مجلة الحوار الثقافي، ص 12.

[3] المرجع نفسه، ص 13.

حيث شهد العالم العربي أوسع نشاط واهتمام بهذا المفهوم، ولأول مرة في تاريخ الجامعة العربية تدعو إلى عقد مؤتمر فكري حول حوار الحضارات، وبقدر ما لفتت هذه الأحداث الأنظار لمقولة هنتنغتون في صدام الحضارات، لفت الاهتمام أيضا إلى دعوة السيد خاتمي في حوار الحضارات وأكدت قيمة هذه الدعوة والحاجة إليها في استشراف المستقبل.[1]

ثالثا: مرتكزات حوار الحضارات عند روجي غارودي.

1-مفهوم حوار الحضارات عن غارودي: تعد مقولة حوار الحضارات مقولة أساسية في مشروع غارودي الحضاري، بحيث يمكن القول بأن غارودي قد عرف أكثر ما عرف بهذه الفكرة، وهي الفكرة أو المشروع الذي كرس له معظم نشاطاته وجهوده الفكرية، والتي تظهر بوضوح في بعض مؤلفاته، مثل"في سبيل حوار الحضارات" خاصة وكذا كتاب "نداء إلى الأحياء" و "مشروع الأمل" و "نحو حرب دينية" وغيرها بالإضافة إلى إنشاء بعض المراكز التي تنشط في هذا المجال كالمعهد الدولي لحوار الحضارات بجنيف، ومركز الدراسات بقرطبة، حيث يعرف غارودي حوار الحضارات بقوله"**هو إخصاب متبادل بين حكمة، وكذلك ثورات آسيا وإفريقيا والإسلام وأمريكا اللاتينية وبين ما يماثلها في الغرب**"[2] وعلى ضوء هذا التعريف فإن غارودي يحدد أطراف الحوار بوضوح في حصرها في حكمة وثورات آسيا والإسلام وإفريقيا وأمريكا اللاتينية من جهة، وهي ما يسميه بالثقافات اللاغربية، وما يقابلها في الغرب من حكم وثورات وهو ما يدعوه بالثقافة الغربية من جهة أخرى، فالحوار الذي يدعو إليه غارودي يشمل الثقافات المتواجدة عبر جميع قارات العالم، أي أنه حوار شامل ليس فيه إقصاء ولا هيمنة لنموذج ثقافي على آخر[3]، وبالتالي التلاقح والاغناء والإثراء الذي يفضي إلى مركب جديد إلى مشروع حضارة جديدة تكون عبارة عن حضارة سمفونية تتناغم فيها عدة ثقافات، ولهذا فإن غارويدي قد حاول أن يدفع الغرب ويوجهه إلى هذا المشروع الذي تشارك في نهضة جميع الأمم بمختف حضاراتها وثقافاتها المتنوعة لبناء مستقبل الجميع الذي سماه

[1] زكي الميلاد: تعارف الحضارات، الفكرة الخبرة والتأسيس،ضمن كتاب جماعي، فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية، ص 685.

[2] نقلا عن الشريف طوطاو: فلسفة حوار الحضارات عند روجي غارودي ضمن كتاب فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية، ص 616.

[3] المرجع نفسه ص 619.

مشروع الأمل، والذي يقول عنه "**إن من شأن ابتكار مستقبل حقيقي أن يقتضي العثور مجددا على جميع أبعاد الإنسان التي نمت في الحضارات والثقافات اللاغربية وبهذا الحوار بين الحضارات بمفرده يمكن أن يولد مشروعا كونيا يتسق مع اختراع المستقبل، وذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع**"[1] وعليه فإن الغرب مطالب بالاستفادة من التجارب الحضارية الأخرى والتعلم منها والانفتاح عليها بهدف تحقيق تكامل الحضارات مستقبلا والخروج من دائرة الصراع الذي عاشته الإنسانية منتقدا في ذلك النظرة الأحادية للغرب، ومحاولة فرضه لحضارة مهيمنة خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار المعسكر الشرقي و الاتحاد السوفياتي، مما خلق صراعا جديدا بين الغرب والباقي خاصة الإسلام، مدعيا (الغرب) فيه أن الخطر سيكون من الخطر الأخضر (أي الإسلام) بعد زوال الخطر الأحمر (الشيوعية)، فالغرب يملك حضارة لكنا ليست عالمية[2]، لأنها قائمة على الإنسانية والكبرياء، وتعتقد بأنها الإمبراطورية الكبرى التي لا تغيب عنها الشمس، بينما يدعو غارودي ويعتبر أن حوار الحضارات هو حق لمشروع الأمل الذي يمكن إضافته إلى المشاريع الفكرية النهضوية الفعلية في تاريخ حضارتهم ويؤكد غارودي قائلا في ندائه لمشروع الأمل "**أيقال أن هذا تغيير عميق لأسلوب حياتنا؟ بلا أدنى شكل أنه اتهام جذري للفردانية والأنانية اللتين هما منذ خمسة قرون، مبدأ مجتمعاتنا الغربية، ولكن البرهان هو بقاء الكرة الأرضية، وبقاء كل واحد منا، إن الثورة الوحيدة التي لا بد منها اليوم، لكي تستمر المغامرة الإنسانية، استمرارا واحد، هي بهذه الثمن أننا لن نغير العالم من غير أن نغير أنفسنا في الوقت نفسه وبالحركة نفسها**"[3] وبهذا فإن بناء حضارة عالمية قائمة على التكامل والحوار والتفاعل بين الحضارات يستلزم تحولا كبيرا في عقلية الغرب وجدها كبيرا في تواضعه الفكري حسب غارودي.

ولكي يكون الحوار فعالا في صياغة مشروع المستقبل ولتغيير انحرافات القرن العشرين التي قادت البشرية نحو الدمار وتصحيح مسار القرن الواحد والعشرين، وبالتالي انقاض الكوكب من الانتحار ينبغي

[1] روجي غارودي: حوار الحضارات، ص 10.

[2] عبد الغني بو السكك: الحضارات من الحوار إلى التحالف، ضمن كتاب جماعي، التثاقف في زمن العولمة، سرار للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، 2011، ص 132.

[3] روجي غارودي: مشروع الأمل، دار الأدب، بيروت، ط1، 1977م، ص 141.

أن يكون للحوار مقومات وشروط وأركان تنتقل من خلالها الحضارة الإنسانية إلى حوار مثمرا تتقوى فيه جسور التفاهم بين ثقافات الأمم والشعور المختلفة، يمكن أن نذكر بعضا منها:

– أن يكون الحوار متبادلا وليس من طرف واحد على شاكلة العولمة التي يراد بها هيمنة نموذج ثقافي واحد على جميع الثقافات بما يؤدي إلى القضاء على الخصوصيات والهويات الثقافية بغية سيادة نمط ثقافي واحد هو النمط الغربي، باعتباره النموذج الأرقى وعليه فمشروع العولمة مشروع لا إنساني في جوهره كونه ينطلق من فكرة الاستعلاء[1] والنظرة الدونية للآخر، وبالتالي فإن الحوار الذي يدعو إليه غارودي ينطلق من فرضيات مخالفة، فحسبه لا يوجد هناك أقوى وأضعف شكل حضارة لها جوانب قوة وجوانب ضعف، وكل منها لديه ما تقدمه إلى الآخر، ولديها ما تتعلمه منه، إذن فالحوار يعني الانفتاح على الآخر لأجل اكتشافه وإحداث التكامل معه وتعويض النقص، وبموجب ذلك لا ينبغي أن تكون هناك عدائية وصارع بقدر ما يوجد حب واحترام للآخر باعتباره شريكا في المشروع الحضاري الإنساني[2]، وعليه فالاعتراف المتبادل والتواصل بين الحضارات شرط ضروري لابد منه في سبيل تكريس هذا الحوار مستشهدا بالتاريخ الإنساني عبر الأزمنة المختلفة، حيث يقول غارودي"**لقد حدثت في التاريخ لقاءات مختلفة بين الحضارات وسيتيح لنا تأملها أن نعرف تعريفا أفضل شروط إمكان لقاء جديد، ووسائل تيسيره والإغناء الإنساني المرتقب منه**"[3]، وبالتالي فإن غارودي يدعو إلى حوار حقيقي رغم صعوبة الأمر معتبرا أن الحضارات يمكن أن تتلاقى وتتلاقح، ويمكن لها أن تتعايش وأن تتفاعل، ذلك أنه لا توجد حضارة قد نشأت بمعزل عن غيرها من الحضارات، وهذا ما يثبته بقوله "لا توجد حضارة في جزيرة، وإن الحضارة منذ أولى خطواتها تتألف من شبكة انتشار كلي"[4] وانطلاقا من هذا يذكر غارودي بأن الحضارة الإسلامية

[1] الشريف طوطاو: الإنسان في فلسفة روجي غارودي، ص 411.

[2] المرجع نفسه، ص 412.

[3] روجي غارودي: حوار الحضارات، ص 180.

[4] المصدر نفسه، ص 156.

قد أخذ عن غيرها وعرفت كيف تنفتح على الحضارات والثقافات الأخرى، وكذلك الحضارة الغربية التي بدأت في الحقيقة في الأندلس أي في اسبانيا خلال القرن الثالث عشر.[1]

– كما أن الحوار يجب أن يكون مبنيا على التسامح والتواضع وتقبل رأي الآخر، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا صغى كل طرف إلى الآخر[2]، فالحوار إذن يشترط التواضع والإنصات إلى الآخر واحترامه، يقول غارودي "**إن حوار الحضارات يتطلب أن ننصت للآخر كما نتحدث إليه بالضبط**"[3] فالإنصات فضيلة يجب عليها فهمها والتحلي بها.

– كما أن الحوار بين الحضارات يجب أن يشتمل حوار الثقافات التي يعول عليها غارودي ويعلق عليها آمالا كبيرة في تغيير العالم وإعادة تنظيم العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة، وعن طريق هذه الحوار يمكن أن يحدث تكامل ثقافي بين الغرب والإسلام، وهذا يقتضي من الغرب أيتناول ثقافته بالنقد فيأخذ من ثقافة الآخرين بدل نفيها[4] وتهديمها ليكمل ثقافته، وعليه لا بد من حوار ثقافي لأن كل الثقافات تنمو وتزدهر بالحوار، وكذلك الحوار الفني الذي يفسح المجال للعثور على الإسهامات الفنية لكل حضارة، ويعمل على توفير الوعي للناس بتاريخهم المشترك ضد مطالبات القوميات الإقليمية مطامعها، بغية بناء شعب واحد هو شعب الأرض بأكملها[5]، إضافة إلى الحوار الاجتماعي خاصة وأن الغرب قد أفسد كل علاقاته الاجتماعي بدءا بالأسرة التي تعد نواة المجتمع الأولى، لتتراجع معها كل القيم الإنسانية، ولذلك يجب أن يتعلم الغرب من حواره مع العالم الإسلامي ذاك البعد الإنساني القائم على التسامي والأمة[6] الذين فقدهما، كما يدعو غارودي كذلك إلى ضرورة الحوار الاقتصادي الذي يخلق

[1] روجي غارودي: وعود الإسلام، ص 19.

[2] رامي كلاوي: روجي غارودي من الإلحاء إلى الإيمان، ص205.

[3] نقلاعن الشريف طوطاو: الإنسان في فلسفة روجي غارودي، ص 411.

[4] روجي غارودي: مشروع الأمل، ص 106.

[5] روجي غارودي: وعود الإسلام، ص 179.

[6] المصدر نفسه، ص 31.

منافع متبادلة، ويقدم خدمات أساسية ذات نفع اجتماعي غير مشكوك فيه من جهة، والقضاء على كل أشكال الاستغلال[1] والبؤس الاجتماعي، فالوضع الاقتصادي للنموذج الحضاري الغربي القائم على استهلاك أي شيء كان نافع أو ضار دون مبالات للأغراض الإنسانية لا يمكن تجاوزه إلا من خلال إقامة حوار مع الإسلام، على اعتبار النظام الاقتصادي الإسلامي هو النظام الأمثل الذي يمكن أن يتعلمه الغرب من العالم الإسلامي، لكونه يرمي إلى التوازن. [2]

– إن دعوة غارودي لحوار الحضارات تتضمن جملة من الأهداف والغايات التي ينبغي تحقيقها كونها تعود بالنفع على العالم بأسره، على غرار القضاء على الحروب، وتحرير الشعوب من بطش الطغاة[3] ونشر السلام وتحقيق المساواة بني البشر، فبالحوار وحده يمكن إنقاذ البشرية من شبح الهلاك والدمار، وكذا إلغاء الثقافة الأحادية التفكير التي تجعل من أوروبا مركزا لحياة العالم[4]، والتي كانت دائما متعصبة في حكمها على الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى، معتبرا أن مسارها الذي تسلكه هو المسار الأنجح وعلى الآخرين إتباعه، وهذا الإدعاء الخاطئ والمظلل أدى به إلى الإنقاص من شأن علوم وثقافة المسلمين خاصة، على الرغم من فضل الحاضرة الإسلامية التي نقلت إلى أوروبا عبر اسبانيا وصقلية ثقافة تكفلت بأعبائها طيلة ألف عام، وهنا أستشهد بكلمات لصاحب جائزة نوبل في الكيمياء لسنة 1999 الأستاذ أحمد زويل عندما قال:"**إن الغرب قلما يتذكر بصفة عامة الدور الذي لعبته الحضارة الإسلامية والتي كان يتواجد أحد مراكزها باسبانيا، التي كانت فيها أوروبا نفسها تهيم في عمق التخلف وأنا أشك في أن الناس في شوارع نيويورك أو لوس أنجلس أو لندن أو باريس يعرفون اليوم مدى تقدم الحضارة الإسلامية في ذلك العمر، لقد قدمت هذه الحضارة للعالم معارف جديدة في مجال العلم والفلسفة والأدب والقانون والطب وغيرها من المجالات..... ويراودني الشك كذلك في كون الناس يتذكرون أن التسامح قد كان من المتغيرات السائدة في هذه الحضارة، ذلك أن فترة**

[1] روجي غارودي: مشروع الأمل، ص 78.

[2] روجي غارودي: وعود الإسلام، ص 72.

[3] روي غارودي: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة محمد هشام، جار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص 19.

[4] روجي غارودي: وعود الإسلام، ص 108.

أوج الحضارة الإسلامية هي الفترة التي عاش فيها المسلمون واليهود والمسيحيون جنبا إلى جنب في سلام باسبانيا، وببلدان أخرى من العالم الإسلامي"[1] أي أن تقبل الغرب للحوار مع الآخر اللاغربي سيجعله يعيد النظر في حكمه على ثقافته أولا وثقافة الآخر ثانيا.

– وباعتبار أن الحوار هو نقيض التعصب فمن خلاله فقط يمكن الخلاص من التعصب السلفي والتطرف والقضاء على كل أشكال الأصوليات التي لا تخلق إلا التصادم بين المجتمعات فعالمنا لا يحتاج إلى قيصر جديد ولانابليون آخر، ولكنه يحتاج إلى تلبية الملايين من الرجال والنساء لهذا النداء[2]، وبالتالي فبالحوار فقط يمكن تجاوز كل أشكال الصدام الناتج عن التعصبات السلفية.

ثم ان الدعوة إلى حوار الحضارات هي دعوة إلى استشراف المستقبل والاهتمام به بقدر الاهتمام بالماضي، حيث يؤكد غارودي هذا بقوله "**لا يقتصر وعي حوار الحضارات وخصبه في عصرنا على فائدته التاريخية وحسب، بل إنه ينهض بدور أمامي لأجل اختراع المستقبل**"[3] والمستقبل الذي يقصده غارودي هنا هو مستقبل الإنسانية المشتركة الذي يتحقق بالحوار، وذلك يقضي من كل طرف من أطراف الحوار إعادة النظر في غاياته وأهدافه، وعلى هذا النحو يكون المستقبل إبداع حقيقي من خلاله يمكن تجاوز النظرة القائمة على البعد الواحد. [4]

2–مبررات التوجه لحوار الحضارات: قام غارودي بالتعاون مع مسؤول منظمة اليونسكو بتأسيس المعهد الدولي لحوار الحضارات عام 1976 بهدف إبراز دور البلاد غير الغربية وإسهامها في الثقافة العالمية، حتى يتوقف الحوار ذو البعد الواحد من جانب الغرب[5]، الذي يقوم على وهم وعقدة التفوق

[1] Ahmed Zewail : « Dialogue des civilisations, faire l'histoire grâce à une nouvelle vision du monde », in science quetre de sens, Ed, Presse de la renaissance, Paris, 2005

[2] روجي غارودي: أصول الأصوليات والتعصبات السلفية، مكتبة الشروق، القاهرة، 1996، ص 10.

[3] روجي غارودي: حوار الحضارات، ص 115.

[4] المصدر نفسه، ص 163.

[5] روجي غارودي: لماذا أسلمت؟، ص 57.

عند الإنسان الغربية... كما قام بنشر عدة كتب في هذا المجال تبرهن أن الحضارة الغربية التي تمجد الفردية وتب من الإنسان أبعاده الإنسانية، وتفصله عن السمو الروحي، وتغتال الفكرة الجماعية وتضع حاجزا بين العلم والتقنية من ناحية، وبين الحكمة من ناحية أخرى حيث يقول غارودي"**إن المجتمع الذي خلق الإنسان الغربي ذا البعد الواحد، ذاك الذي ينتظر من نمو العالم والتقنيات نموا لا نهائيا أن يروي غلة إرادته في السيطرة والربح**"[1] وبهذا فالحضارة الغربية التي استنفذت أغراضها ولم تعد لها ضرورة، تتبع ثلاث موضوعات رئيسية في توجهها:

1- موضوع رجحان الفعل والعمل باعتبار ذلك قيمة أساسية.

2- موضوع رجحان جانب العقل، ومن الجائز أن نضيفها على النحو الآتي: إن العقل قادر على حل جميع المشكلات ولا توجد مشكلات حقيقية إلا تلك التي يستطيع العلم أن يحلها وفي هذا التصور الوحيد البعد ينحل الفكرة إلى الذكاء وحده، ولا يجد فيه الحب، ولا الإيمان ولا الشعر مجالا.

3- أما الموضوع الثالث فهو موضوع رجحان (اللانهائي السيء) أي اللانهائي الكمي وحسب وباسم هذه الموضوعات أمكننا الاعتقاد بإمكان لا نهائي في النمو، وأن نعرف النمو باعتباره نمو كميا صرف في الإنتاج والاستهلاك. [2]

وعليه فإن مشروع حوار الحضارات في تصور غارودي يمثل بديلا للنموذج الحضاري الغربي المؤهل للانتحار، ولإنقاذه وتصحيح مساره، وجب علينا الاهتمام بالحضارات اللاغربية في مجال الدراسات، وجعلها بمنزلة تعادل في أهميتها الثقافة الغربية، وكذا الاهتمام بمبحث الجمال وضرورة أن يشغل منزلة يعادل في أهميته تعليم العلوم والتقنيات بالإضافة إلى جعل الاهتمام بالمستقبل يعادل في أهميته من حيث الأهداف والغايات أهمية التاريخ وعلم التاريخ. [3]

[1] روجي غارودي: حوار الحضارات، ص 34.

[2] روجي غارودي: لماذا أسلمت؟، ص 59.

[3] روجي غارودي: حوار الحضارات، ص 159.

فالغرب كما يرى غارودي قد اختار منذ عصر النهضة نموذجا خاطئا في التنمية ألا وهو نموذج النمو لأجل النمو، وهو نموذج يفتقر إلى أية غاية إنسانية سواء على مستوى الثقافة أو الاقتصاد أو السياسة أو التنقية، أو العلم، ولهذا كان من الطبيعي أن يصل إلى هذه الأزمة التي نشاهدها اليوم، وإن استمراره في هذا النهج قد يفاقم هذه الأزمة وبالتالي الانهيار، ولهذا فالغرب بحاجة إلى القيام بثورة شاملة على النموذج الحضاري الذي اختاره، تتغير بموجبها علاقة الإنسان بالله وبالطبيعة وبالمجتمع، كما تشمل هذه الثورة الاقتصاد والسياسة والعلم والتقنية والفلسفة والدين والفن والجمال، وسوف يكون الهدف من هذه الثورة قيام نموذج حضاري عالمي، ولتحقيق هذا المشروع لابد من إقامة حوار بين الحضارات[1]، يتيح للغرب التعلم من الحضارات الأخرى ما ينقصه، أي استعادة الأبعاد الإنسانية المفقودة، فيتعلم من ثقافات أمريكا وإفريقيا وآسيا و من الإسلام، حتى وان كانت متخلفة ماديا، إلا أنها يمكن أن تساهم مساهمة فعالة في بناء الإنسان والحضارة على نحو إنساني بما تقدمه من رؤى عالمية، وعليه فالتوجه إلى حوار الحضارات يعني انقاذ الحضارة، وإنقاذ الإنسانية من الهلاك الذي بات وشيكا، ويوضح غارودي مقصده من هذا الكلام قائلا "**ليس بمحال إطلاقا حدوث مبادلة تتيح حوار بين الحضارات، ولكن الحوار يفترض أن يكون كل طرف مقتنع بأن ثمة شيئا يتعلمه من الطرف الآخر، لقد استمر حديث الغرب عن ذاته زمنا كافيا، وقد حاول توجيه جميع الحضارات بحسب منظوره الخاص... إن حوار الحضارات حقيقيا ليس بجائز إلا إذا اعتبرت الإنسان الآخر والثقافة الأخرى جزءا من ذاتي يعمر كياني ويكشف لي عما يعوزني**"[2] وبالتالي فإن غارودي يعتبر حوار الحضارات مشروع ضروري لا بد أن تشارك فيه كافة شعوب المعمورة على اختلاف ثقافاتها وأجناسها وألوانها، لأن ثمرته تعود على الإنسانية كافة.

[1] الشريف طوطاو: الإنسان في فلسفة رجاء غارودي، ص 416.

[2] روجي غارودي: لماذا أسلمت؟، ص 60.

المبحث الثاني: فكرة الأنسنة في مشروع روجي غارودي .

أولا: أنسنة العمل الاقتصادي.

لقد تكلمنا فيما سبق عن أزمة النموذج الغربي الذي يكون فيه الإنتاج والاستهلاك معا غايات بذاتها، إنتاج متزايد أكثر فأكثر، واستهلاك متزايد أسرع فأسرع، لأي شيء مفيد أم غير مفيد، ضار أم حتى قاتل دون النظر بعين الاعتبار إلى المقاصد الإنسانية. [1]

وانطلاقا من هذا فإن غارودي يضع تصورا لمشروع نمو جديد يراعي فيه البعد الإنساني هدفه تمكين الإنسان من تحقيق إنسانية، وهذا يتم حسبه من خلال مجموعة من الضوابط والأسس والمبادئ، التي يرى غيابها سببا لهذه الأزمة، ولهذا فغارودي يدعو إلى ضرورة مراعاة هذه الأبعاد الإنسانية التي يفتقر لها اقتصاد السوق ويرفض كل نشاط اقتصادي لا تكون غايته تحقيق إنسانية بل يمكن عده نموذج لنمو أعمى وهذا ما يؤكد عليه غارودي بقوله "**هذا النشاط من أنشطة الحياة، بدلا من أن يساعد الإنسان على أن يكون إنسانا، أي مبدعا، نجده يميل بسبب نظام السوق إلى أن يجعل من العاطل في أحسن الأحوال مستهلكا**"[2] ولهذا فإن غارودي يدعو إلى تدمير الأسطورة التي تضفي كلمة ديمقراطية على حرية السوق.... فالسوق الحر قاتل للديمقراطية بواسطة تراكم الثروة في قطب والبؤس والفقر في القطب الآخر، وهذا يتضمن بالضرورة التحرر من العولمة المزعومة للاقتصاد أي من الإرادة الأمريكية التي تريد أن تجعل من أوروبا ومن باقي العالم مستعمرة تفتح منافذ أمام اقتصادها الخاص في جميع المجالات من المنتجات الزراعية إلى الصناعات الفضائية ومن المعلومات إلى السينما. [3]

كما يدعو كذلك إلى الانسحاب الجماعي من كل مؤسسة أصبحت أداة لسيطرة سيد واحد وتستخدم لتغطية اعتداءاته العسكرية والاقتصادية والثقافية كالأمم المتحدة، صندوق النقد الدولي، البنك

---

[1] روجي غارودي: وعود الإسلام، ص 72.

[2] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 111.

[3] المصدر نفسه، ص 119.

الدولي، منظمة التجارة العالمية، وكل مشتقاتها من المؤسسات التي تقوم مثلها بالتواطؤ لحساب سيطرة امبريالية على العالم وعلى مفهوم اختزالي للإنسان باحتسابه فقط مستهلكا أو منتجا تحركه فقط مصلحته وحدها ولا تعطي للإنسان أي معنى آخر لحياته، إلا العمل كعبد كي يستهلك أكثر. [1]

فغارودي يرفض هذه الرؤية للعالم بدون إنسان، وحياة بلا مشروع إنساني هي حياة بلا معنى وبالتالي يجب علينا أن تتحد من أجل أن نبني عالما واحدا فتيا في تنوعه ومطمئنا على مستقبله بواسطة التقاء الشعوب والثقافات في إيمان مشترك تغذيه خبرات وثقافة كل شخص، ويدفعه مشروع مشترك في أن يعطي لكل طفل ولكل امرأة ولكل رجل أيا كان أصله وتراثه الخاص، كل الوسائل اللازمة لاستخدام كل الإمكانات الإنسانية التي يحملها في داخله، ويوضح غارودي ذلك بقوله "**إن مهمتنا هي أن نجمع جميع الناس ذوي الإيمان–أيا كان إيمانهم– ضد العالم الحالي، عالم اللامعنى، وأن نخلق نوايا لمقاومة اللامعنى، مقاتلين كل ما هو مناقض لوحدة العالم السمفونية، حيث يستطيع كل طفل، وكل إمرأة وكل رجل أن يطوّر تطويرا عاما جميع الثروات الإنسانية التي حملها في ذاته لكي يحمل كل شعب وكل إيمان إسهامه إلى وحدة العالم المخصبة**". [2]

وعليه فإن غارودي يلح على ضرورة مراعاة الجانب الإنساني في التنمية الاقتصادية، ويدعو إلى خلق وحدة ليست امبريالية ولكن وحدة سيمفونية للإنسانية، يساهم فيها كل شعب وكل مجتمع بثرواته الخاصة، ثروات أرضه وثقافته وإيمانه. [3]

وانطلاقا من ذلك فإن غارودي يتوجه إلى دول العالم الثالث بتحقيق تحالف أو اتحاد أو تكتل اقتصادي بين دول الجنوب يسميه باندونغ[4] جديد من أجل أن يكون القرن الحادي والعشرون علامة على نهاية عصر ما قبل التاريخ الحيواني للإنسان، لأن بعث الوحدة الإنسانية لا يمكن أن تتم بواسطة

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 119.

[2] روجي غارودي: نحو حرب دينية، جدل العصر، ص 73.

[3] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 119.

[4] باندونغ: مدين اندونيسية، عقد فيها في أفريل ما 1955 أول مؤتمر للدول غير المنحازة، حضره لأول مرة ممثلو تسع وعشرون دولة.

العنف والسلاح اللذين كانا يفصمان عراها، ولكنه يتم بواسطة تحالف كل القوى الإنسانية حقا: من الاقتصاد إلى الثقافة إلى الإيمان[1] في مقابل انفتاح الغرب على العالم في مجمله، والعمل على تغيير جذري في علاقته مع العالم الثالث ووضع نهاية لسيادة الغرب[2]، بهدف تحقيق توازن بين الشمال والجنوب، وبالتالي إنقاذ حياة الملايين من الأشخاص الذي يموتون جراء الفقر والجوع والمرض.

بالإضافة إلى دعوته لإلغاء الديون على العالم الثالث، كون الدائن هو الغرب الذي استنزف ثروات وخيرات هذه الشعوب واستعبد أبناءها وحطم اقتصادياتها المحلية، وضحى بزراعاتها المتعددة، وجعل من اقتصادها مجرد خادم تابع لمصالحها فقط[3] وبالتالي فإن الديون قد تم سدادها منذ زمن طويل، وعليه ينبغي لدول العالم الثالث أن تمتنع عن دفع ديونها إلى الغرب.

كما يؤكد غارودي كذلك على أهمية الجانب الأخلاقي في الممارسة الاقتصادية من خلال دعوته إلى ضرورة التحكم الحقيقي الصارم في التبادلات[4]، ومنعه للمضاربة التي تؤدي إلى أرباح بطريقة غير شرعية كونها تؤدي إلى مضاعفة الربح دون عمل.

دور الإسلام في أنسنة الاقتصاد: يعد مفهوم الاقتصاد في الإسلام مناقضا للمفهوم السائد في الغرب، حيث لا يعني الاقتصاد سوى الإنتاج والاستهلاك كهدفين لذاتهما دون أدنى رعاية للغايات الإنسانية، إنما يهدف الاقتصاد في الإسلام إلى التوازن، مما يجعله يتمتع بخصوصية أساسية تتمثل في رفضه الخضوع الأعلى للآلة، بل هو يحمي غاية في ذاته باعتباره تنظيما لأهداف عقائدية وإنسانية سامية[5] على عكس مفهوم التنمية في الغرب باعتبارها مادية بحتة غايتها النمو والزيادة لا أكثر حيث يؤكد غارودي

[1] رودي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 116.

[2] المصدر نفسه ، ص 112.

[3] المصدر نفسه ، ص 117.

[4] المصدر نفسه، ص 120.

[5] روجي غارودي: لماذا أسلمت؟، ص 77.

ذلك بقوله " **النموذج الغربي للنمو يكون فيه الإنتاج والاستهلاك معا غايات بذاتها ..... دون النظر بعين الاعتبار إلى المقاصد الإنسانية، فالاقتصاد في مبدئه القرآني لا يستهدف النمو ولكنه يرمي إلى التوازن، ولا يتماثل مع الرأسمالية الذي يمثله النمط الأمريكي، ولا مع الجماعية التي يمثلها النمط السوفيتي**"[1] فميزته الأساسية أنه لا ينصاع للآليات العمياء التي ينطوي عليه اقتصاد يحمل غاياته الخاصة في ذاته وإنما يكون منسقا ومحكوما بغايات إنسانية وإلهية مترابطة لا انفصام لها ، فالرجل لا يكون إنسانا إلا بخضوعه للإله.

كما يقوم الاقتصاد في الإسلام على جملة من المبادئ، والأسس المستهدفة من القرآن والسنة، التي تميزه عن النظم الاقتصادية الغربية وتكشف من خلالها على الغاية الإنسانية للتنمية الاقتصادية على غرار مبدأ الزكاة الذي يمثل الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة، فهي لا تقتطع من الدخل فحسب ولكن من رأس المال، ولقد كان هذا الشكل الأولي للضمان الاجتماعي الذي لم تفز به بعض البلدان الأوروبية إلا في منتصف القرن التاسع عشر، مطبقا في الإسلام منذ ثلاثة عشر قرنا[2]، وهذا يظهر بوضوح في قول غارودي "**تعكس الزكاة –التي لا تعتبر مجرد صدقة تعط كيفما اتفق، إنما هي اقتطاع من رأس المال–صورة من صور التأمين الاجتماعي الذي لم تعرف أوروبا إلا في القرن العشرين**"[3]، فالزكاة إذن تسعى إلى ضمان حد الكفاية للفرد وتسعى إلى تضييق الهوة بين الأغنياء والفقراء، كي لا يطغى الإنسان على أخيه الإنسان، وفي الوقت ذاته تسعى إلى نشر قيم الحب والتعاون والتضامن بين جميع أفراد المجتمع، وتقضي على كل أشكال الحقد والكراهية وبالبخل والحسد، وبهذا فالزكاة ليست مجرد فرض ديني فحسب بل هي كذلك نشاط اقتصادي ذو أبعاد إنسانية تتحقق من خلالها المساواة والعدالة الاجتماعية أما التجارة فتعد هي الأخرى شكل من أشكال النشاط الاقتصادي في الإسلام التي تحقق التنمية الاقتصادية بمفهومها الإنساني، حيث يختلف مفهوم السوق في الإسلام عنه في الغرب لكونه مقبولا

[1] روجي غارودي: وعود الإسلام، ص 73

[2] المصدر نفسه، ص 72.

[3] روجي غارودي: لماذا أسلمت؟، ص 77.

مشروعا يلبي حاجات واقعية ويحترم عمله قواعد الإسلام، الأمر الذي ينطوي على توزيع عادل للمدخول وعلى رفض الاحتكارات التي تمنع الأسعار من أن تعكس التكاليف الحقيقية[1]، وفي هذا يقول غارودي "**لم يكن الاقتصاد في ظل النظام الإسلامي محايدا تاركا الحبل على الضارب حيال القوى الحية، فالسوق التي هي إحدى دعائم الاقتصاد توجه من أجل إرضاء الحاجات الحقيقية وتتجاوب مع أسس وقواعد الإسلام، ويستشف من خلال ذلك التوازن في توزيع الدخل والحيلولة دون الاحتكار**"[2] وعليه فإن حركة التجارة تخضع في غاياتها ووسائلها إلى حكومة لها أهداف تتجاوز السوق، والمجتمع الذي تلبي هذه السوق حاجاته، كون الغايات الكبرى هي الأهم في المجتمع الإسلامي وما التجارة إلا وسيلة لتحقيق هذه الغايات، ويذكر القرآن الناس بذلك، حيث يقول الله تعالى في سورة النور "**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار**"[3] وهكذا فإن الإسلام قد وضع ضوابط وقيود تحدد النشاط التجاري حتى لا يفقد أبعاده الإنسانية.

ثانيا: أنسنة العمل السياسي.

إذا كان غارووددي قد انتقد نموذج التنمية السياسية في الغرب، بوصفها النموذج الأعمى فإن الهدف من وراء ذلك هو وضع مشروع نموذج حضاري بديل، يتميز بكونه إنسانيا في منطلقاته وأسسه.

وانطلاقا من هذا فإن غارودي يرى بأن أنسنة السياسة تقتضي إقامة نظام سياسي على أساس واجبات الإنسان، يكون هذا الواجب هو أساس كل الواجبات الأخرى، يستبعد من خلاله كل تسلط

[1] روجي غارودي: وعود الإسلام، ص 71.

[2] روجي غارودي: لماذا أسلمت؟، ص 77.

[3] سورة النمل: الآية 37.

وتضمن فيه كل الحقوق، مضمن فيه حرية التعبير لكل نزعة إنسانية أي كل مذهب يخدم مصالح الإنسانية ككل لا يتجزأ، وكل تطلع قومي يساهم بثقافته الخاصة في سيمفونية هذه الوحدة العالمية. [1]

إذ يكون هذا الميثاق القائم على واجبات الإنسان كبديل لميثاق حقوق الإنسان الذي يجعل الغرب من شعارات لا أساس لها في الواقع، كون المساواة تغدو فيه شكلية حسب عدالة تتمثل في إعطاء كل حقه، للسيد حق السيد، وللعبد حق العبد، لصاحب العمل ما يستحقه صاحب العمل وللأجير ما يستحقه الأجير[2]، وتبقى فيه الأخوة والوحدة الإنسانية مسجلة ضمن شعارات الجمهورية، وما هو مسجل في الواقع إنما هو شيء آخر، ولهذا فإن غارودي يدعونا إلى عدم الانخداع بهذه الشعارات التي تنطوي على مغالطات كثيرة، والتي تجعل من النظام السياسي الغربي نظام لا إنساني في جوهره، خاصة وأن أغلب الانتهاكات التي تحدث في العالم اليوم تمت تحت غطاء حقوق الإنسان.

فميثاق حقوق الإنسان الذي أعلنته الأمم المتحدة لا يحمل من الحقوق حسب غارودي إلا الاسم، وبالتالي فإنه من الضروري إقامة نظام سياسي ذو وجه إنساني يمكنه وحده أن يكفل ازدهارا جديدا للإنسانية، أو على الأقل بقاءها على قيد الحياة، يقتضي الانتقال من النزعة الفردية التي يعد كل فرد فيها نفسه مركزا ومقياسا لكل شيء إلى الجماعية التي يشعر كل عضو فيها أنه مسؤول عن مصير الآخرين[3]، ولهذا فإن غارودي يقترح مشروع سياسي جديد قائم على مجموعة من الواجبات التي ينبغي على الإنسان الاقتداء بها إذا ما أراد أن يكون له مستقبل ذو وجه إنساني، حي يتضمن هذا المشروع الواجبات التالية:

- الإنسانية مجتمع واحد، ولكن ليس بواسطة وحدة امبريالية قائمة على سيطرة دولة أو ثقافة هذه الوحدة غنية بمشاركة كل الشعوب وثقافاتها.

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 132.

[2] الشريف طوطار: الإنسان في فلسفة رجاء غارودي، ص 466.

[3] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 135.

- كل واجبات الإنسان والمجتمعات التي ينتسب إليها تنبع من مساهمته في هذه الوحدة، أي تجمع إنساني، مهني، قومي، اقتصادي، ثقافي، ديني لا يمكن أن يكون مشروع للدفاع عن مصالح وامتيازات خاصة، ولكن لترقية أي إنسان وكل إنسان أيا كان جنسه أو أصله الاجتماعي أو العرقي أو الديني، كي يعطي كل فرد الإمكانية المادية والروحية من أجل استخدام كل القدرات الخلاقة التي يحملها في داخله.
- الملكية عامة أو خاصة، لا شرعية لها إلا إذا أقيمت على العمل وساعدت على تنمية الجميع وبالتالي حائزها هو مجرد مدير مسؤول عنها، لا مصلحة شخصية أو قومية أو طائفية أو دينية يمكنها أن تجعل غايتها التنافس والسيطرة واستغلال عمل الآخرين، أو الاستغلال المنحرف لوقت الفراغ.
- السلطة على أي مستوى كانت لا يمكن أن تمارس أو تسحب إلا بواسطة توكيل من قبل من يلتزمون التزاما مكتوب للوصول إلى المواطنة ومراقبة الواجبات، وهي لا تتضمن أي امتياز لكن فقط واجبات واقتضاءات. [1]
- لا يجوز لأحد أن يزعم امتلاكه المعرفة الكاملة والحقيقة المطلقة، لأن هذه الأصول الثقافية التي تولد بالضرورة محاكم للتفتيش والشمولية والإبداع خاصية إنسانية تحل بينه وبين الاغتراب وتعمل على ألا تحل محل أي آلة، مهما كانت درجة تعقيدها، فلا يسقط في عبادة الوسائل التي تستبعد كل أساس للواجب.
- وهدف كل مؤسسة شعبية لا يمكن إلا أن يكون دستور الجماعة حقيقية، أي على عكس النزعة الفردية، هي رابطة يعي كل مشترك فيها أنه مسؤول عن قدر كل الآخرين. [2]

ومن خلال هذا فإن غارودي يلزمنا بقطع الصلة مع النموذج الغربي الحالي المتسبب في أزمة الإنسان المعاصر، ويدعونا إلى بناء نظام عالمي بديل يقوم على أسس إنسانية، أي الانتقال من مجال

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 136.

[2] المصدر نفسه، ص 137.

الحقوق إلى مجال الواجبات رغم صعوبة الأمر، كون الإنسان ينزع بطبعه نحو السهولة أي نحو المطالبة بالحقوق.

دور الإسلام في أنسنة السياسة: لقد ظل غارودي موقنا بأن الحضارة الغربية بشكلها الحالي ستقود البشرية إلى مستقبل مدمر لعجزها عن إرضاء حاجات الإنسان الروحية، حيث لم يجد فيها استجابة لحاجاته الفكرية وتساؤلا الفلسفية، ولم تزوده بنظرة كاملة عالمية، وهكذا فإن تعرف غارودي على الإسلام جعله يكتشف ما ينطوي عليه هذا الدين من أبعاد إنسانية في كل المجالات على غرار المجال السياسي.

إذ يعد نظام الحكم من أهم المفاهيم التي تشكل نظرية التنمية السياسية في الإسلام، حيث لا يمكن أن يكون الحكم في الإسلام متماثلا مع التيوقراطية أو مع الملكيات ذات الحق الإلهي في الغرب ولا مع الديمقراطيات من النمط البرلماني[1]، يقول غارودي في هذا الصدد "**لا يجوز مقارنة النظام السياسي في الإسلام بالثيوقراطية ولا بالملكية باعتبارهما حقين إلهين لدى الغرب، ولا حتى بالديمقراطية من النوع البرلماني، وإنما تقع على عاتق المسلم مسؤولية فهم وتطبيق قواعد الإسلام في مجال السياسة في كل بلد وفي كل عصر بشكل يتلائم مع روح وظروف تلك البلاد في ذلك العصر**"[2] فالإنسان لا يمكن أن يتصرف في الحكم بمطلق حريته، فهو مجرد نائب عن الله في ذلك، أي أنه مكلف ومؤتمن على السلطة، وهو ملزم بموجب ذلك أن يتقيد بمبادئ الإسلام وضوابطه الشرعية المتمثلة في جملة الأوامر والنواهي والحدود، فالحكم والسلطة الفعلية إذن مع الله وحده، وهذه الخاصية مصدرها التوحيد أي الإيمان بوحدانية الله، فالله هو المشرع الذي ينزع السلطة من الإنسان حتى لا يطغى ولا يتعسف في استعملها بما يلحق الأذى بالناس، وبهذا تكتسب السلطة في الإسلام بعدها الإنساني.

فالإسلام إذن يقوم على مبدأ الجماعة لا على مبدأ الفردانية، هذه الجماعة التي تتضمن الإنسانية كلها في تاريخها ومشروعها الإنساني، وهي التي تعرف باسم الأمة التي تحمل صفة الشمولية، فهي ليست ثمرة عقد اجتماعي كما يقول غارودي، إنها أمة عقيدة مبنية على يقين كل فرد بوجود غاية تتجاوز مصالح

[1] روجي غارودي: وعود الإسلام، ص 80.

[2] روجي غارودي: لماذا أسلمت؟، ص79.

الأفراد وحتى مصالح الجماعة، مهما كانت هذه الجماعة كبيرة، قبيلة، مدينة، طبقة، قوم، الكتلة ايديولوجية، وهذه الأمة تعني كل الإنسانية بمجموع تاريخها ومشروعيتها، والأمة المسلمة تحمل هذه العالمية لأن كل واحد من أعضائها يكون متحدا مع جميع الآخرين بنفس عقيدة توحيد الله السامية المنزهة[1] وهذا ما يؤكد عليه غارودي بقوله "**إن محور الأمة هو عقيدة أساسها أن يتجاوز كل فرد مصالحه وأغراضه الشخصية لمصالح الأمة التي تشمل الإنسانية جمعاء... فالسلطة مؤسسة تتعدى نفسها، إذ لا تعترف العقيدة الإسلامية بسلطة أخرى سوى سلطة الله تبارك وتعالى**"[2] فمن خلال هذا القول يتضح أن المجتمع في الإسلام يعبر عن تلك الوحدة البشرية التي تضفي الترابط والتماسك بين أفراده، وليس عقد اجتماعي بين مجموعة أفراد تجمعهم مصالح مشتركة على نحو ما هو في المجتمع الغربي الديمقراطي.[3]

وبذلك فإن نظام الحكم في الإسلام يبقى إحدى الأنظمة السياسية وأكثرها إنسانية في التاريخ بالنظر إلى ما عرفه هذا الحكم من مظاهر العدل والمساواة والأمن والاستقرار والتضامن والمحبة وغيرها من القيم الإنسانية التي لا يوجد لها مثيل في النظم السياسية الشرقية منها والغربية على السواء قديما وحديثا.

المبحث الثالث: الإيمان والتعليم كأساس في إعادة بناء الحضارة.

أولا:الإيمان الحي في فلسفة غارودي .

لقد اقتنع الكثير من المفكرين بأهمية الدين في تشكيل الوعي الحضاري، على غرار المفكر روجي غارودي الذي قادته تأملاته وتجاربه الخاصة وقراءته لمختلف الأديان إلى تعميق الوعي لديه بأهمية الإيمان، وقدرة الدين على ذلك، باعتبار الدين من المقومات الأساسية في بناء الحضارة، نظرا للأثر البالغ

[1] روجي غارودي: وعود الإسلام، ص 82.

[2] روجي غارودي: لماذا أسلمت؟، ص 79.

[3] الشريف طوطاو: الإنسان في فلسفة رجاء غارودي، ص 488.

الذي يتركه الدين في حياة الفرد والمجتمع، حيث أن الحضارات تصنف في الغالب على أساس الدين، فيقال مثلا حضارة إسلامية، وحضارة مسيحية... وغيرها، ويقال حضارة مادية إذا كانت تفتقد إلى الأساس الديني وما يترتب عنه من إهمال للقيم الروحية والأخلاقية، وبقدر ما يتغلغل الإيمان في حياة الفرد والمجتمع بقدر ما تكتسب هذه الحياة توازنها واستقرارها، والعكس من ذلك، فإن حياة بلا تعالي هي حياة بلا معنى، كما هو حال الإنسان المعاصر[1]، الذي يعاني من تمزق نفسي بسبب الفراغ الروحي، الدين الذي يتكلم عنه غارودي ويدعو إليه هو الدين الحي الذي يساهم في حل مشكلات الإنسان في أي عصر كان، ويوجهه نحو بناء مستقبل ذو وجه إنساني.

وانطلاقا من هذا فإن غارودي ينتقد بشدة الديانة المسيحية، ويدعو إلى ضرورة إزالة النزعة الأسطورية عما هو روحي[2]، وأبعد من ذلك يدعو إلى إنهاء الأمر بشأن انحراف الفكر الإنساني المتمثل في المفهوم القبلي لشعب الله المختار، الذي يقسم الإنسانية ما بين نخبة ومهمشين، يمنح الأوائل الحق الإلهي للسيطرة، والاستبعاد أو حتى قتل الآخرين، ويجب أيضا أن ننتهي من القراءات المتطرفة للإنجيل التي تجعل منه الكتاب المقدس الوحيد للإنسانية باعتبار أن كل شعب من الشعوب لديه تاريخ مقدس هو تاريخ الإنسان في بحثه من الله.[3]

هذه الأفكار المصطنعة التي ليس لها أي أساس ترتبت عليها نتائج فائقة الخطورة، حيث صارت المسيحية من هذا المنظور ديانة تبرر الاستعمار والاستعباد والاستبداد والفقر والظلم والتفاوت الطبقي والاجتماعي والتمييز العنصري وهذا ما أكده غارودي بقوله " **منذ ذلك الحين أسس لاهوت بوليس[4]–**

[1] الشريف طوطاو: الإنسان في فلسفة رجاء غارودي، ص 496.

[2] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل.؟، ص 270.

[3] المصدر نفسه، ص 271.

[4] القديس بولس: من طرطوس بتركيا الآن، كان يهوديا ومواطنا رومانيا معاديا للمسيح، ثم تنصر بعد رؤياه للمسيح وهو في طريقه إلى دمشق، وعلى اثر ذلك بدأ دعوته للمسيحية في مختلف أرجاء العالم.

تحت اسم المسيحية– لاهوتا للسيطرة"[1]، وعليه فإن التصور الذي تقدمه مسيحية بولس للألوهية يتعارض مع أديان الرحمة والإنسانية.

وعليه فإن انقاض الحضارة حسبت غارودي يقتضي منا التحول من الإيمان السائد في الثقافة الغربية القائم على العقل المجرد، إلى الإيمان الحي الذي يقوم على حضور الله فيا، في حياتنا اليومية بكل أبعادها وتجلياتها، أي ما يسميه غارودي بتجربة التعالي التي تقدم لنا مفهوما صحيحا للحضارة، حيث يقول "**إنني مقتنع بأن عالمنا تلزمه صياغة جديدة لقيم المقدس، ويلزمه مفهوم جديد للدين يتطابق تماما مع أصول العبادة والصلاة، ولكن يعبر عنه بشكل جديد ومختلف، بشكل يسمح لنا بالتعرف على وجودنا الخاص، وعلى وجود الآخرين أيضا بوصفهما مقدسين، ويطلعنا على مسؤولية البعض إزاء البعض الآخر، ويكشف لنا عن قدرتنا على خلق عالم أكثر عدلا في ديننا الجديد هذا، سيكون على القادر والثري والعالم مسؤولية وللفقراء حقوق، هذا هو الدين والاقتصاد والنظام الاجتماعي والحياة الخلاقة للفنون والتكنيك والتعليم، كل هذا لن يكون إلا شيئا واحدا يهدي تفكيرنا وحركتنا**"[2] بمعنى أن هذا الإيمان كفيل بتغيير واقعنا وتوجيهنا نحو تأسيس حضارة إنسانية، يستعيد من خلاله عالمنا المعنى الذي افتقده في إطار النموذج الحضاري الغربي.

إن هذا الإيمان الذي يدعو إليه غارودي يقوم على أساس التسامح والحب وكل القيم الإنسانية، فهو يتعارض مع الأديان التي تعد ذريعة وأداة لممارسة القهر والسيطرة، وبالتالي يجب أن تكون له مكانة مركزية في المجتمع خلافا للأنظمة الغربية المتمثلة في الاشتراكية والليبرالية، إذ يقول غارودي "**في المفهوم الليبرالي، حيث لا تتدخل الدولة في الدين وطقوسه وعقائده، تكون الحياة الخاصة المكفولة للدين متعلقة بالعقائد وليس الإيمان، فالعقيدة هي طريقة في التفكير، أما الإيمان فهو طريقة للفصل في المفهوم الليبرالي، إذن سيكون هناك تسامح كامل فيما يتعلق بالعقيدة ولكن سيكون محظورا على الإيمان أن يؤثر على الأبنية العينية للعالم، وفق مصالح الأفراد**

[1] المصدر السابق، ص 242.

[2] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل.؟، ص 266.

والجماعات"[1] فالليبرالية حسب غارودي تقوم على العلمانية التي تعني فصل الإيمان عن الدولة فالإيمان من منظور فلسفة الفعل عند غارودي يعبر عن طاقة روحية فعالة تحرك الإنسان وتسمو به ليتجاوز من خلاله أنانيته وفردانيته، وكل إيمان بلا فعل هو عبارة عن أساطير، وانطلاقا من هذا فإن غارودي يرى أن مسؤولية إنقاذ الحضارة الغربية المعاصرة من جهة، وتأسيس حضارة عالمية ذات أبعاد إنسانية من جهة أخرى، تقع على الدين وعليه فلا بد من الرجوع إلى الإيمان لإعادة بناء الإنسان والحضارة[2]، إذ يقول غارودي "**يجب بالتأكيد أن نصحح التوجه الخاطئ نحو عصر النهضة، حين سميت العلوم الخاصة بالوسائل وحدها باسم العقل، وذلك بتحوليها عن بعدها الإنساني القادر على تسخير الاكتشافات العظيمة لخدمة الإنسان وازدهاره وليس لتدميره، هذا البعد الآخر هو الحكمة التي تتأمل الغايات**"[3] فلكي يكون الإيمان خادما للإنسان ينبغي تغيير مفهوم العلم، فبدلا من العلم القائم على الفعل الأدائي ينبغي الرجوع إلى الحكمة التي تبحث في الغايات والتي أساسها الإيمان.

إذن ومن خلال ما سبق يكون قد اتضح لنا أن التعالي عند غارودي أو الإيمان له بعد إنساني أكثر مما يرتبط بالغيب على نحوها نجده في التصورات الكلاسيكية للدين، فالإيمان إذن مطالب تغيير وجه الحضارة الحالي، وضرورة منحها بعد إنساني جديد يقتضي تغيير سلوك الإنسان وثقافته حتى يحقق بذلك سعادته.

دور الإسلام في بناء الحضارة: يحتل الإسلام في نظر غارودي مكانة خاصة بين الأديان السماوية وحتى الأرضية منها، حيث رأى فيه العلاج الشافي لما تعاني منه الإنسانية تحت زعامة الغرب باعتباره دين إنساني مصدره الطابع العالمي الشمولي الذي يميزه، فهو دين يتجاوز الحدود الجغرافية والعرقية، كونه موجه للإنسانية كافة، حيث تعد تجربة الإسلام في الأندلس نموذجا على ذلك فقد كان إسهام الإسلام في الغرب أكثر ثراءا في الأندلس، يقول غارودي "**الإسلام في الغرب قد حمل**

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل.؟، ص 267.

[2] الشريف طوطار: الإنسان في فلسفة رجاء غارودي، ص 518.

[3] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 27.

إلى قرطبة أروع ثماره"[1] فالفتح الإسلامي لاسبانيا قد أحدث ثورة اجتماعية هائلة، التقت حوله كل الديانات السماوية، فكان مبدأ حرية العقدية الركن الأساسي الذي تركز عليه عظمة الأمم الحقيقية، ففي المدن التي كان فيها المسلمون أسيادا كانوا يقبلون بكنيسة المسيح وبكنيس اليهودي وهذا الإيمان هو الذي قاد إلى التعايش والتسامح الديني في الأندلس، حيث يقدم الكاتب الإسباني الكبير بلاسكو ايبسانيز Blasco Ibsanez شهادة من أجل بلاده على النحو التالي "**في اسبانيا لم يأتي الإحياء من الشمال، مع الجماعات البربرية إنه جاء من الجنوب مع العرب الفاتحين** (.....) **فتلك كانت حملة تمدينية أكثر منها فتحا** (.....) **دخلت بها إلى بلادنا تلك الثقافة الفنية، القوية المستنفرة بتطوراتها المذهلة بسرعتها التي ما كادت تولد حتى انتصرت**...."[2] ومن هنا يتبين أن الإسلام في الأندلس قد أنشأ أجمل وأغنى حضارة وجدت في أوروبا طلية العصر الوسيط، فحين كانت شعوب الشمال تبيد بعضها بعضا بحروب دينية وتسلك سلوك القبائل البربرية، كان سكان اسبانيا يرقون إلى أكثر من ثلاثين مليون نسمة وفي خليط غني من الشعوب والأعراق كانت تتعايش جميع الأفكار، وكافة العادات، وجميع الاكتشافات الناجزة حتى ذلك الحين على الأرض وجميع الفنون، وجميع العلوم، وجميع الصناعات وجميع المخترعات وجميع المذاهب القديمة، ومن احتكاك هذه العناصر المختلفة كانت تتدفق اكتشافات جديدة وطاقات خلاقة جديدة، وكان يأتي من الشرق كذلك العد العشري والجبر وعلم تحويل المعادن والكيمياء والطب وعلم الكونيات والشعر المنظوم، وكان الفلاسفة اليونان الذين يوشكون على الضياع في غياهب النسيان، يجدون إنقاذهم باللحاق العربي في فتوحاته، فكان أرسطو يهيمن على جامعة قرطبة الشهيرة[3]، وعليه فقد كان الإسلام في الأندلس يمثل أجمل فسائلها لكونه قائم على التمييز بين الإسلام كثقافة، أي بين الشكل الثقافي للدين، وبين الإيمان المتجرد من كل شكل ثقافي، أي الإيمان

[1] روجي غارودي: الإسلام في الغرب، قرطبة عاصمة العالم والفكر، ترجمة الدكتور ذوقان قرقوط، دار دمشق للنشر، ط1، 1995، ص 06.

[2] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 17.

[3] المصدر نفسه، ص 19.

الذي تلتقي حوله كل الأديان السماوية، أو ما يسميه غارودي بالديانة الابراهيمية[1]، التي تعني وحدة الأديان، أو الأصل الواحد لها(ملة إبراهيم–عليه السلام– وهي الإسلام دين الفطرة).

ويرى غارودي أن الحضارة الغربية التي أعلنت إفلاسها، ينبغي عليها البحث عن مركب حضاري بديل، ويتمثل هذا البديل في حضارة ذات وجه إنساني، ولهذا نجد أن غارودي يشيد بالحضارة الإسلامية في الأندلس باعتبارها نموذج للحضارة الإنسانية الحقيقية، وإحياء قيم هذه الحضارة من شأنه أن يفيد في حل أزمة عصرنا الحضارية، وهذا يؤكد عليه غارودي بقوله "**تلك النهضة المجهضة تستطيع، إذا ما نحن عرفنا العمل على إحياء روحها من جديد، في هذا الجزء الأخير من الألف الثانية من تاريخنا، تقديم إجابة على المشاكل الكبرى لزماننا فالعمل اليوم على إحياء التصور غير المحدود للعقل الذي كان تصورا للأندلس ولقرطبة هو محاربة المضربين القاتلين لعصرنا**"[2] ومن هنا فإن تجاوز الأزمة هذه يكون بالتغلب على النزعة الوضعية والفردانية التي أفرزتها الحضارة الغربية، والتي فصلت العلم عن الإيمان والحكمة، وبالمقابل إحياء العقل المطلق الذي كان أساس الحضارة الأندلسية، باعتبار عظمة الإسلام تظهر في بعدي التعالي والجماعية، ومن خلالهما يمكن بناء حضارة ذات وجه إنساني على نحو ما كانت عليه حضارة الإسلام في الأندلس، لأن الإسلام كما يعتقد غارودي هو دين المستقبل.

ثانيا: النموذج المنشود في التعليم :

يرى غارودي أن المدرسة في الغرب شأنها شأن المنشآت السياسية والاقتصادية التي تفرزها السوق غايتها أن تكرر نفسها وأن تنتج من جديد النظام الذي ينجبها[3]، ولهذا فإنه يعيد على المنظومة الغربية في التربية والتعليم عدم اهتمامها بالغايات والأهداف على مستوى أبنية التثقيف وفقدان الإنسان لأبعاده الروحية والأخلاقية لكونها تنطلق من تصور مادي للإنسان، وعليه فإن غارودي يؤكد على ضرورة القيام

[1] للإطلاع أكثر على المحتوى المعرفي للإبراهيمية أنظر: محمد أبو القاسم حاج محمد، منهجية القرآن المعرفية، أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهدى، بيروت، 2003، ص 195.

[2] روجي غارودي: الإسلام في الغرب، ص 256.

[3] روجي غارودي: مشروع الأمل، ص 105.

بإصلاح جذري لمنظومة التعليم يسد من خلاله النقائص والثغرات بما يخدم المشروع الحضاري الإنساني البديل، نظرا للدور المهم الذي تلعبه منظومة التربية والتعليم في بناء الإنسان وتشكيل الوعي الحضاري لديه، وفي هذا يقول غارودي "**مثل هذا التطور الجذري يقتضي منا أن نعيد التفكير بطريقة جذرية في مشكلات التعليم سواء في ذلك محتوى التعليم أو أبنية نظام التثقيف**"[1] وفي هذا الإطار فإن غارودي قد حاول تقديم بعض الحلول البديلة لحل مشكلة التعليم تتضمن هذه الحلول بعض المقترحات العملية التي تتعلق ببعض المواد الإنسانية وهي تعليم القراءة، تعليم التاريخ، تعليم الفلسفة.

1-تعليم القراءة: يعد تعليم القراءة الخطوة الأولى في مشروع غارودي التعليمي البديل، باعتبار أن كل شيء يبدأ مع القراءة، ومنها يكون الالتزام بأي مفهوم للثقافة[2]، فالقراءة ليست فقط أن تتذكر أو تتهجى الكلمات، وإنما أن تتعلم كيف تفسر الواقع، أي أن تدرك أن الكلمات لا تكتشف بل على العكس فهي تخفى، فالطلاب الأميين في بداية المرحلة الثانوية ليسوا أميين لأنهم لا يعرفون كيف يفهمون أو يلخصون نصا يستطيعون فك حروفه حسب، بل لأنه حتى لو استطاعوا الفهم والتلخيص، يعجزون عن فك شفرة الكلمات التقليدية، والفطنة إلى التناقضات والفخاخ التي تكمن خلف النص، فمعرفة القراءة لا تعني ترجمة العلامات المكتوبة في جريدة أو كتاب ما، إنما تعني فك شفرات الكلمات، أن تتبصر العالم وتصدعاته لتغيره[3]، أي فهم الواقع من أجل تنمية وعي الإنسان بوضعه الاجتماعي وهذا الوعي يقوده في النهاية إلى تغيير وضعه نحو مستوى البناء الحضاري الذي يكون أكثر إنسانية، فالتعليم حسب غارودي ينبغي أن تكون غايته التحرير وليس القهر، لذا فهو ينتقد نظام التعليم الغربي لعدم واقعيته، وإخضاع التعليم للنظام القائم، حيث يقول غارودي "**منذ الانطلاقة الأولى للتعليم، نجد مفهوما منحرفا للثقافة وللنظام الاجتماعي معا، يجب أن يتيح التعليم للجميع وسيلة للتفكير في الوقائع وتحقيق هذه الأفكار، في حين أن كل شيء في التعليم الحالي يغرق الطفل**

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ص 159.

[2] المصدر نفسه، ص 170.

[3] المصدر نفسه، ص 171 .

في عالم غير واقعي، ويرسخ في ذهنه أيديولوجية مبررة للسلطات"[1] بمعنى أن الطفل يلقن مجموعة من المفاهيم المحددة من قبل النظام القائم خدمة لمصالحه، كمفهوم الدولة مثل، وانطلاقا من هذا فإن غارودي يرفض ذلك رفضا مطلقا ويدعو إلى حرية التفكير وحرية النقد، لكي يدرك الطفل معنى الحياة ويفسرها وفق ما تقتضيه الحضارة الإنسانية وما تتطلبه، فتعلم القراءة من منظور غارودي يعني فهم الواقع، باعتبار أن الكلمات هي إشارات تمثل ترجمة للواقع، حيث يقول غارودي "**أن تعرف القراءة، فهذا لا يعني أنك تستطيع فقط أن تقرأ الكلمات و العبارات، وإنما يعني أيضا أنك تستطيع أن تقرأ العالم الواقع بكل تناقضاته ومقتضيات تغييره**".[2]

فالصورة هي عبارة عن منبه للفكر لا تلعبه مجرد دور تبسيطي مثلما نرى في الكتب الأبجدية التي ترسم فيها قطة بجانب كلمة "قصة"، فإذا ما كتبت على السبورة مسكن، فهذا لا يعني فقط أن هذه الكلمة تعني المكان الذي نقيم فيه نحن، إذ يمكن لنا أن نتخيل أو نتصور من خلالها صورة المتسول الذي ينام عند فتحة تفريغ الهواء الساخن في محطة المترو ليحمي نفسه من البرد يتلحف صفحات الجرائد ويستدفئ بها باعتباره المكان الذي يسكن فيه عادة، ويمكن لنا أيضا أن نتصور من خلال هذه الكلمة الضواحي العشوائية للعاطلين عن العمل، أو المساكن الشعبية التالفة....إلخ[3]، بمعنى أن الأمر هنا ينبغي أن يتعلق بشيء أكثر من مجرد التعريف، إنه الوعي الذي يمكن أن يفجره هذا اللفظ، أو هذه الصورة، وهكذا يمكن أن نخرج من مقام التجريد اللفظي، إلى مقام آخر يهيء الطفل لأن يكون إنسانا فعالا في تفكيره نحو بناء مستقبل حضاري أكثير إنسانية، وإلا ظل عاجزا عن إعطاء الحياة معناها الصحيح.

2-تعليم التاريخ: يتضمن مشروع إصلاح التعليم عند غارودي إعادة النظر في تدريس مادة التاريخ، فغارودي ينتقد بشدة التاريخ الذي تتضمنه المقررات الدراسية في المدارس الغربية، نظرا للدور الكبير

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ص 174.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[3] المصدر نفسه، ص 172.

الذي يلعبه هذا التاريخ في اختراع الأساطير وتزييف الحقائق التي تدعم وتبرر المركزية الأوروبية التي تنفي وجود أو على الأقل قيمة الآخر وثقافته، حيث كتب بول فاليري[1] "**التاريخ هو النتاج الأكثر خطرا للكيمياء، إنه يسلمنا للحلم، إنه يخذر الشعوب، يجلب لها الذكريات المزيفة، ويقودها إلى هذيان العظمة أو الاضطهاد، إن التاريخ يبرر ما يرده لأنه يحتوي على كل شيء، ويقدم أمثل لكل شيء، وفي الواقع الحالي للعالم (عام 1938 قبل عام من حدوث الحرب العالمية الثانية) صارت غواية التاريخ أكبر مما كانت عليه في أي فترة مضت**"[2] فالتاريخ الذي يدرس في المدارس الأوروبية يهدف أساسا حسب غارودي إلى تحقيق أهداف لا إنسانية تتمثل في التركيز على البعد القومي للدول الأوروبية، وتبرر من خلاله الاحتقار الاستعماري لقيم الآخر[3]، ولتوضيح أكثر يقدم لنا غارودي بعض الأمثلة والشواهد على الأساطير التي تحفل بمادة التاريخ المقدمة في المدارس الغربية، على غرار إضفاء الطابع الأسطوري على فكرة الدولة، ففي فرنسا تم إضفاء الطابع الأسطوري على تاريخ الدول الفرنسية، حيث جعل منها موجودة من الأزل على ما هي عليه الآن بإسقاطه فرنسا الحالية على الماضي وهذا ما عبر عنه غارودي ساخرا بقوله "**لقد وجدت بلادنا منذ الأزل–أو ربما كانت سابقة على الوجود– على النحو الذي هي عليه في واقعنا الحالي**"[4] فتاريخ فرنسا قد أصبح قالبا لصناعة الأسطورة على الرغم من التقدم الهائل لمدارس التاريخ التي لم تلفح في تحطيم هذا القالب تماما، مع العلم أن هذه الأساطير ليس خاصة بفرنسا وحدها، فنفس الطابع الأسطوري ينطبق على الإمبريالية الانجليزية صاحبة المجازر في الهند، وتنطبق أيضا على وحشية النازي المستباحة باسم رقي الجنس الآري، وينطبق في النهاية على ممارسات الاغتصاب والنفي والاضطهاد الوحشي التي تمارسها دولة إسرائيل باسم الوعد القبلي

[1] بول قاليري: (1871-1945) كاتب فرنسي يتمتع بفكر لامع في المعرفة، كتب الشعر والنثر والمقال، وكان مهتما بقضايا عصره، وبالمثقف وآليات تكوينية وقدراته، من أهم مؤلفاته (نظرات على العالم الحالي).

[2] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 175.

[3] المصدر نفسه، ص 176.

[4] المصدر نفسه؟، ص 176.

للإله، أو باسم المستقبل البارز للولايات المتحدة الأمريكية، وفي ايطاليا استند "موسوليني" بدوره إلى بعض الأساطير التي برر بها مجازره في ايطاليا.[1]

ومن هنا يلح غارودي على ضرورة إعادة النظر في التاريخ الذي يتم تدريسه، بإزالة الأساطير عنه وتقديم تاريخ بديل يساهم في بناء الحضارة الإنسانية بدل تدميرها، تاريخ يزيل عن أوروبا مركزيتها العنصرية، ويفضح جرائمها ضد الإنسانية، تاريخ يكشف عما لدى الآخر من قيم تستند على التحاور معه والتعلم منه[2] بما يعود بالنفع على الإنسان عامة، وهذا التغير يكون بشكل جذري، بحيث يجب أن يحل البحث في المصادر محل نقل الأساطير، إذ يقول غارودي "**يجب أن يتم تغيير وضع مادة التاريخ في التعليم بشكل جذري، لا يتعلق الأمر هنا، بنقل المعلومات التاريخية عن طريق الكتب المدرسية التي يعقب بعضها بعضها، وينقل بعضها عن بعض اعتمادا على نموذجين أو ثلاثة تتنوع من حيث طريقة عرض المادة، ولكنها تخضع جميعا لنفس المنطق، منطق الفكر الأحادي، فكر الأساطير المعبرة عن الأمل أو التكوين التاريخي للأمة، مما يؤدي في النهاية إلى تشكيل مواطنين ذوي فكر أحادي مع مبرر لصحة الوضع السياسي القائم**"[3]

3-تعليم الفلسفة: يرى غارودي أن الفلسفة الغربية قد تخلت عن دورها الأساسي، وفقدت بذلك قيمتها الحقيقية حيث يقول "**الفلسفة في العالم المعاصر هي من ألعاب التسلية للمختصين المتميزين في الألعاب البهلوانية، فالمفكرون بعيدون عن المشكلات الحياتية اليومية، وعن حركات حياة الشعوب، بقدر بعدهم عن الأزياء الراقية**".[4]

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 180.

[2] الشريف طوطاو: الإنسان في فلسفة رجاء غارودي، ص 542.

[3] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 183.

[4] المصدر نفسه: ص 226.

فأساتذة الفلسفة في المدارس وفي الجامعات يتبعون موضة التقليد التي يقومون من خلالها بعزل هؤلاء الأساتذة لطلابهم عن ضجيج الشارع وعن زلازل الشعوب، أي غياب التفكير النابع مما هو صحيح، متجاهلين بذلك النظريات التي ترمي إلى الحفاظ على الوضع العالمي[1]

إذن فغارودي ينتقد بشدة فلسفة الذات التي تم تدريسها في برامج التعليم الغربية لأنها تحاول الهروب عن الواقع والتعالي عليه، كما أنها تقوم على رؤية مادية في مقابل استبعادها الحكمة والإيمان حيث يؤكد غارودي ذلك بقوله "**لقد انفصل الفكر عن الحياة، وصنعت الفلسفة عالما قائما بذاته، عالم الوجود الذي يخلو من حركة الوجود الواقع ومن الوعي به، وهكذا صارت فلسفة الوجود للسيطرة وليست فلسفة للتحرر**".[2]

وفي هذا إشارة واضحة من غارودي إلى فلسفة الوجود عن سارتر وهيدغر، التي تغرق في الوجود المجرد لدرجة عجزها عن تغيير الواقع.

كما ينتقد كذلك الفلسفة البنيوية التي تعد من المذاهب الفلسفية المعاصرة المعتمدة في التدريس والتي يصفها بفلسفة موت الإنسان، لكونها فلسفة جافة جعلت من الإنسان عروسة خشبية متحركة تتحكم فيها الأبنية. [3]

ولهذا فإن غارودي يقترح تدريس بديل للفلسفة يستهدف من ورائه بناء الإنسان وفق قول غارودي "**إن الفلسفة بالمعنى الصحيح، أي التفكير في الغايات وفي معنى الحياة والمشاركة في الفعل لتحقيق هذه الغايات وهذا المعنى، قد خانت رسالتها في الغرب شرقه وغربه على السواء**"[4] فالفلسفة التي يدعو إليها غارودي إذن هي فلسفة للفعل لا فلسفة للوجود تبحث

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، ص 229.

[2] المصدر نفسه، ص 234.

[3] المصدر نفسه، ص 228.

[4] المصدر نفسه، ص230.

عن معنى للحياة ويكون فيها الإنسان هو محور اهتمامها حيث تبحث في مشكلات الحياة والواقع الإنساني سعيا لتجاوزها، وعليه ينبغي تحديد الدرس الفلسفي وتغييره جذريا في مشروع التعليم، الذي يقترحه كبديل للمنظومة الغربية،وهكذا فإن إعادة النظر في مضمون الدرس الفلسفي يعد مطلبا ضروريا في فلسفة غارودي التربوية وفي كل مشروعه الحضاري بغية منحه بعدا أكثر إنسانية.

الخاتمة

الخاتمة:

إذن ومن من خلال ما تم التطرق إليه تكون قد اتضحت لنا العديد من النتائج التي تمخضت عنها هذا البحث ويجدر بنا أن نجمل أهم تلك النتائج.

حيث اتضح لنا أن الحضارة الغربية المعاصرة، هي حضارة الإنسانية، لكونها تقوم على فكرة مركزية الذات التي تجعلها ترفض الاعتراف بالآخر اللاغربي ولحضارته وثقافته، وعلى هذا الأساس فإن الحضارة العاصرة مقبلة على مشارف الهلاك، فهي حضارة الإنسان ذو البعد الواحد، أي البعد المالي الذي غيب كل القيم الإنسانية والروحية، بل وجعل من الدين خرافة وأسطورة يجب على الإنسان أن يتحرر منها ليكون متحضرا وهذا ما ألقت به في ديانة الوسائل وعبادة الصنمية، التي تقوم على عبادة آلهة جديدة هي آلهة المال والسلعة، فتحولت بذلك القيم الإنسانية إلى قيم تجارية، وأصبحت كرامة الإنسان تنتهك باسم حقوق الإنسان في ظل هذه الحضارة.

فالحضارة الغربية إذن هي حضارة قائمة على العنصرية والاستعلاء، ترفض كل أشكال الحوار والإخصاب المتبادل، بحيث كل واحد من الآخر ما ينقصه، وبهذا فنحن أمام حضارة تجعل من الهيمنة والسيطرة على الثقافات الأخرى هدفا أساسيا لها، بل وصار الآخر اللاغربي يمثل بالنسبة لها خصما أو عدوا يجب محاربته.

إن النزعة المركزية في الحضارة الغربية جعلت العلاقة بينها وبين باقي الحضارات الأخرى تتسم بالسيطرة والعنف والصراع، من خلال الأفكار المروجة لذلك، كنظرية نهاية التاريخ لفوكوياما وكذلك نظرية صدام الحضارات لصمويل هنتنغتون.

وعلى هذا الأساس فإن غارودي لم يكتف بهذا الجانب النقدي فقط بل إنه حاول تقديم مشروع حضاري بديل ذو وجه إنسانيا، وهو ما يطلق عليه اسم مشروع الأمل حيث يدعو الغرب من خلال هذا المشروع إلى ضرورة الانفتاح على الآخر، والاعتراف به والتعرف عليه، وإدراك حقيقته من أجل إحداث التكامل وتجاوز هذا النقص، بغرض تأسيس حضارة عالمية بوجه إنسانين تسمح بتحقيق أبعاد الإنسان المادية والروحية، وبذلك فإن المشروع الحضاري عند غارودي يختلف عن النموج الحضاري الغربي الذي يعني الهيمنة على العالم، فمشروع غارودي الحضاري يهدف إلى بناء حضارة إنسانية بمساهمة جميع

الشعوب بإبداعاتها الثقافية، دون هيمنة إحدى الحضارات على غيرها، إنها حضارة إنسانية تذوب فيها الفوارق بين الشعوب، وبذلك ستنعم البشرية بالسلام والتعاون، والحوار هو السبيل إلى ذلك باعتبار أن المشاكل الإنسانية اليوم قد باتت عالمية وليست خاصة بمجتمع دون الآخر.

غير أن طرح غارودي لم يسلم هو الآخر من النقد، حيث يرى علي حرب أن مشروع غارودي الحضاري القائم أساسا على فكرة الحوار في حقيقته لا يعد معرفيا بقدر ما هو مشروع إنساني فعليا وواقعيا، حيث يقول بأن المهنة الأصلية لغارودي هل الفلسفة، والفيلسوف هو الذي يشتغل على الأفكار ويهتم بصناعة المفاهيم، فمهمته الأولى هي ترجمة الواقع إلى إشكالية فكرية، أوصوغ العلاقة بين الأشياء صياغة عقلانية أو قراءة التجارب والممارسات بلغة مفهومية، ولكن وعلى الرغم من ذلك فإن مشروع غارودي الحضاري يبقى محل إشادة واحترام، لكونه يقوم على فلسفة إنسانية بكل أبعادها، تدعو إلى علاقة تشاركية وتواصلية بين الحضارات بعيد عن كل نظرة استعلائية، أو دونية للآخر، بما يؤدي إلى تحقيق تنمية إنسانية شاملة وعادلة تتغلب فيها إرادة السلام والمحبة على إرادة الصراع والقوة والهيمنة.

قَائمةُ المصادر

و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أولا: المصادر:

1. روجي غارودي: أصول الأصوليات والتعصبات السلفية، مكتبة الشروق، القاهرة، 1996.
2. روجي غارودي: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة محمد هشام، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998.
3. روجي غارودي: الإسلام، ترجمة: وجيه أسعد، دار عطية للنشر، بالجزائر، ط2، 2001.
4. روجي غارودي: الإسلام في الغرب، قرطبة عاصمة العالم والفكر، ترجمة ذوقان قرقوط، دار دمشق للنشر، سوريا، ط1، 1995.
5. روجي غارودي: حفارو القبور، ترجمة عزة صبحي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999.
6. روجي غارودي: حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، عويدات للنشر، بيروت، ط4، 1999.
7. روجي غارودي: كيف صنعنا القرن العشرين، ترجمة ليلى حافظ، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000.
8. روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟ ترجمة منى طلبة، تقديم: أنور مغيث، دار الشروق القاهرة، ط1، 1999.
9. روجي غارودي: لماذا أسلمت؟ نصف القرن من البحث عن الحقيقية، دراسة محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن للنشر، القاهرة، ط1، 1999.
10. روجي غارودي: محاكمة الصهيونية، ترجمة عادل المعلم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999.
11. روجي غارودي: مشروع الأمل، دار الآداب، بيروت، ط1، 1977.
12. روجي غارودي: نحو حرب دينية، ترجمة صياح الجهيم، دار عطية للنشر، بيروت، ط1، 1996.
13. روجي غارودي: وعود الإسلام، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الشرقي، بيروت، ط2، 1985.
14. روجي غارودي: الولايات المتحدة، طليعة الإنحطاط، ترجمة: مروان حموي، دار الكتاب، دمشق سوريا، ط1، 1998.

ثانيًا: قائمة المراجع:

1. المراجع باللغة العربية:

1. أحمد عبد الحليم غراب: رؤية إسلامية للإستشراق، المنتدى الإسلامي، برمنجاهم، 1991.
2. إدوارد سعيد: الإستشراق، ترجمة : د محمد عماني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 2006.
3. أليسكي جورا فسكي: الاسلام والمسيحية، ترجمة خلف محمد الجراد، عالم المعرفة، الكويت، 1996.
4. إيمنويل كانط: مشروع السلام الدائم، ترجمة عثمان أمين، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة،1952.
5. بدرية البشر: وقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي، دبي والرياض أنموذجان مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط1، 2008.

6. برتراند راسل : حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكرياء، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ج1، 1983.
7. جان جاك شوفالي: تاريخ الفكر السياسي من المدينة إلى الدولة القومية ،ترجمة محمد عرب صاصيلال، مؤسسة الجماعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993.
8. جورج سباين: تطور الفكر السياسي، ترجمة حسن جلال العروسي،، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ج2 .
9. جيرار ليكارك: العولمة الثقافية، الحضارات على المحك، ترجمة جورج كتورة، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ط1، 2004.
10. حسن حنفي، محمد صادق جلال العظم: العولمة، دار الفكر، دمشق، ط2، 2000.
11. حسين مؤنس: الحضارة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.
12. رأفت دسوقي: عولمة المدير في العالم النامي، دار العلوم للنشر، القاهرة، 2006.
13. رامي كلاوي: روجي غارودي من الالحاد إلى الإيمان، لقاءات ومحاضرات، دار قتيبة للنشر- دمشق، ط1، 1990.
14. ربوسكية، روفاتييه: الإنسان في المجتمع المعاصر، ترجمة مصطفى كامل فودة، دار المعرفة، القاهرة، 1969.
15. رضا عبد الواحد أمين: الإعلام والعولمة، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007.
16. زروخي الدراجي: نحو فلسفة للتاريخ، دار صبحي، غرداية، الجزائر، ط1، 2013.
17. زينات بيطار: الاستشراق في الفن الرومنسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ط1، 1992.
18. سالم يفوت: حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1989.
19. سيرج بيروتينو: جارودي، ترجمة: منى النجار المؤسسة العربية، بيروت، لبنان .
20. سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي الغربي، المغرب، 2007.
21. سليمان بن صالح الخراشي: العولمة، ط1، داربلنسية للنشر، الرياض، 1420هـ.
22. سيار الجميل: العولمة والمستقبل، إستراتيجية تفكير، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
23. صمويل هنتنغتون: صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، مراجعة صلاح قنصوة، ط2، 1999.
24. طيب تيزيني: من الاستشراق الغربي الى الاستغراب المغربي، دار المجد للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1996.
25. عبد الحليم عمار غربي : العولمة الإقتصادية، دار أبي الفداء للنشر، سوريا،ط1، 2013.

26. عبد الرحمان عميرة: الإسلام والمسلمون بين أحقاد التغيير وظلال الإستشراق، دار الجيل، بيروت، ط1، 1999م.
27. عبد الرحمان عميرة: الإسلام والمسلمون بين أحقاد التغيير وظلال الإستشراق، دار الجيل، بيروت، ط1، 1999م.
28. عبد القادر تومي: الفكر العالمي والفكر العولمي، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
29. عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية، إشكالية التكوين والتمركز حول الذات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2003.
30. عبد المنعم فؤاد: من إفتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، مكتبة العبيكان، الرياض،ط1، 2008.
31. عبد الوهاب المسيري: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، دار الشروق، القاهرة، ط1, 1997.
32. عمار جيدل: حوار الحضارات ومؤهلاته في التأسيس للتواصل الانساني، دار الحامد، عمان، الأردن، 2013.
33. فاروق عمر فوزي: الإستشراق والتاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1998.
34. فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1993.
35. فريدريتش هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1974.
36. كافين رايلي: الغرب والعالم، ترجمة: عبد الوهاب الميسري، هدى عبد السميع مجازي، المجلس الثقافي الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت،ج2، 1986.
37. مجموعة مؤلفين: التثاقف في زمن العولمة، إشراف عبد المجيد عمراني، سرار للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، 2011.
38. مجموعة من المؤلفين: فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية والعود الدائم، إشراف وتحرير علي عبود المحمداوي، إبن نديم للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2012.
39. محمد إبراهيم الفيومي: الإستشراق، رسالة الإستعمار، دار الفكر العربي، مصر، 1993.
40. محمد سبيلا: زمن العولمة فيما وراء دوائر الوهم، دار توقبال للنشر، المغرب، ط1، 2006.
41. محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط 1، 1997.
42. محمد عمارة: بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، مكتبة الإمام البخاري للنشر، القاهرة، ط1، 2009.
43. مصطفى النشار: ما بعد العولمة، دار القبة للنشر، القاهرة، ط1، 2003.
44. معن النقري: العولمة الكوكبة منهجيا ونظريا وتطبيقيا، دمشق، ط1، 2003.

45. محمود حمدي زقزوق: الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف القاهرة، 1997.
46. نعيمة شومان: العولمة بين النظم التكنولوجية الحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1998.

2. المراجع باللغة الفرنسية:

1. ahmed zewail : <<dialogue des civilisations, fair l'histoire grace à une nouvelle vision du monde>> in science quetre de sens, ed,press de la renaissence, paris, 2005.

ثالثًا: المعاجم والقواميس والموسوعات

1. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2 دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
2. محمد مرتضي الزبيدي: تاج العروس، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، اللجنة الفنية بوزارة الإعلام، الكويت، ج12، 1392هـ، 1972م.
3. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007.

رابعًا: المجلات والدوريات

1. زكي الميلاد: تعارف الحضارات، الفكرة الخبرة والتأسيس، مجلة الحوار الثقافي، مخبر الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم، مستغانم، الجزائر، 2013.
2. محمد عابد الجابري: العولمة والحرية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، بيروت، 1998.
3. صادق جلال العظم: ماهي العولمة، مجلة الطريق، العدد الرابع، بيروت، 1997.

خامسًا: الرسائل الجامعية

1. بلحنافي جوهر: الاخلاق والسياسة بين الرواقية والفكر الاسلامي، رسالة دكتورة غير منشورة، جامعة وهران، 2005.
2. لبنى برهوم: جدل الغرب والإسلام (رسالة مجستير غير منشورة)جامعة باتنة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والاسلامية، 2011، 2012.
3. شبشوب مريم: الأسس الفلسفية لظاهرة العولمة الامريكية (رسالة ماجستار غير منشورة)، جامعة الجزائر 2011.
4. الشريف طوطاو: الإنسان في فلسفة رجاء غارودي في (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة قسنطينة، 2010.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة: ..... أ–ج

الفصل الأول: الكونية في سياق المشروع الحضاري الغربي

تمهيد: .....

المبحث الأول: مفهوم الكونية وجذورها التاريخية. 06

أولا: مفهوم الكونية: 06

ثانيا : الجذور التاريخية لفكرة الكونية. 07

1.الكونية عند الرواقية: 07

2.الكونية في الفكر المسيحي: 08

3.الكونية عند المسلمين: 09

4.الكونية في العصر الحديث: 10

المبحث الثاني: الرؤية المركزية للنموذج الحضاري الغربي. 11

أولا: مفهوم المركزية الغربية: 11

ثانيا: التأصيل لفكرة المركزية الغربية: 13

المبحث الثالث: تجليات المركزية الغربية 18

أولا: الدراسات الإستشراقية: 18

ثانيا: العولمة..... 20

ثالثا: التمركز الغربي بين نهاية التاريخ وصدام الحضارات. 26

1. نهاية التاريخ..... 26

2. صدام الحضارات: 28

الفصل الثاني موقف روجي غارودي النقدي من المركزية الغربية

تمهيد: 34

المبحث الأول: روجي غارودي وموقفه من الدراسات الإستشراقية. 34

. أولا: روجي غارودي ومساره الفكري..... 34

1. إعتناقه للمسيحية: 35
2. انخراطه في الشيوعية: 36
3. مراجعة الماركسية: 36
4. مرحلة اشتراكية التسيير الذاتي: 38
5. اعتناقه للإسلام: 39
ثانيا: الإستشراق من منظور غارودي: 40
المبحث الثاني: موقف غارودي من ظاهرة العولمة ..... .44
1. العولمة تفاقم للتفاوت وتعميم الفقر. 44
2. العولمة نهاية السياسة وتزييف الديمقراطية: 48
3. العولمة ثقافة اللامعنى: 52
المبحث الثالث: قراءة غارودي لأطروحتي نهاية التاريخ وصدام الحضارات. 55
1. قراءة غارودي للأطروحة نهاية التاريخ : 55
2. قراءة غارودي لأطروحة صدام الحضارات: 58
الفصل الثالث المشروع الحضاري البديل عند روجي غارودي
تمهيد 63
المبحث الأول: مشروع حوار الحضارات ودوره في تأسيس حضارة عالمية. 64
أولا: مفهوم حوار الحضارات. 64
ثانيا: جذور نظرية حوار الحضارات. 67
ثالثا: مرتكزات حوار الحضارات عند روجي غارودي. 70
1–مفهوم حوار الحضارات عن غارودي: 70
2–مبررات التوجه لحوار الحضارات: 75
المبحث الثاني: فكرة الأنسنة في مشروع روجي غارودي 78
أولا: أنسنة العمل الاقتصادي. 78
ثانيا: أنسنة العمل السياسي. 82

المبحث الثالث: الإيمان والتعليم كأساس في اعادة بناء الحضارة. 86
أولا:الإيمان الحي في فلسفة غارودي 86
ثانيا: النموذج المنشود في التعليم : 91
1–تعليم القراءة: 92
2–تعليم التاريخ: 93
3–تعليم الفلسفة: 95
الخاتمة 98
قائمة المصادر والمراجع..... 101
فهرس المحتويات 109

ملخص

يعد هذا العمل محاولة منا لتسليط الضوء على موقف روجي غارودي من المشروع الحضاري الغربي القائم على رؤية كونية مهيمنة على باقي الحضارات، باعتباره يسعى إلى اختزال الآخر اللاغربي وإقصائه وفصله عن سياق البناء الحضاري، والتعامل معه بنوع من الاستعلاء وعدم الاكتراث، وبهذا فهو يعيد بناء التاريخ البشري وفق ما تقتضيه مصلحته، وبناءًا على ذلك فإن غارودي يدعو إلى رؤية كونية مغايرة، أي علاقة جديدة بين الحضارات تقوم على التواصل والتشارك بين مختلف ثقافات وحضارات العالم، بما يؤدي إلى تحقيق حضارة إنسانية شاملة وعادلة، وإلى انتشار السلام الكوني، فتسود بذلك المحبة بين أفراد البشرية كافة فوق المعمورة قبل أن تتسبب يد الإنسان في تقسيمها إلى دول وحضارات متصارعة متصادمة، فالبشرية إذن بحاجة ماسة إلى مشروع حضاري عالمي بديل يعيد الأمور إلى وضعها الطبيعي الصحيح.

Résumé

Ce travail est un tentative de jeter la lumière sur l'opinion de ROJER Garaudy du projet de civilisation occidentale basé sur une vision cosmologique dominante sur les autres civilisations tant qu'il veut extraire l'autre non occidental et le sanctionner et l'éliminer et le séparer du parcours du construction civile et se comporter avec lui d'une façon majeur et de désintérêt , de ce fait il reconstitue l'histoire humaine selon ses propres mesures et ses intérêts

De ça Garaudy assigne à une vision planétaire différente ou bien une nouvelle relation entre les diverses civilisations, fondées sur la communication et la participation entre les différentes cultures et civilisation des populations, cela contribue à l'établissement d'une civilisation humaine universelle et légale comme il contribue à la diffusion de la paix planétaire , par conséquent il s'étale l'amour et l'entente entre les hommes en générale sur la terre avant que l'homme lui-même la partager à des pays et des civilisations confrontées, enfin les etres humains ont besoin d'un vrais projet de civilisation universelle bien distingué et équilibré.